

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:...../.....

-رقم التسجيل: 1335071949.

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر : شعبة: الدراسات الأدبية
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

جدلية المركز والهامش في رواية " الورم "

لإبراهيم الكوني

إعداد الطالبة:

- إيمان بوديلمي

تاريخ المناقشة: 2018/05/13

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسا	جامعة المسيلة	د/ باية كاهية
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أ- د/ جمال مجناح
ممتحنا	جامعة المسيلة	د/ نسيمة بغداداي

السنة الجامعية : 2017 - 2018 م/ 1439 - 1440 هـ



إلى الأهل

إلى الذي منحني كل ما يملك، ولم يدخر جهداً في تقديم الدعم لي مادياً
ومعنوياً حتى كنت نباتاً أستوى على سوقه بإذن الله...أبي العنون
إلى نبع المحبة والعنان والوفاء وأغلى ما أملك...أخي الحبيبة
إلى عزوتي وسندي في الحياة...إخوتي
إلى من كانوا لي أوفياء...أصدقائي جميعاً
إلى أساتذتي وأهل الفضل عليّ الذين غمروني بالحب والتقدير والندبة
والتوجيه وأخص بالذكر أستاذي المشرفه جمال مجناح
إلى كل من يفكر ويبحث للارتقاء بالعلم في كل مكان
إليك وطني الحبيب الجزائر
أهدي لكم جميعاً ثمرة هذا الجهد المتواضع
سائلة المولى العليّ القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه
والحمد لله ربّ العالمين.

إيمان بوديلمي

مقدمات

مقدمة:

تُعتبر الرواية كجنس أدبي حديث ومعاصر مرآة عاكسة لواقع الإنسان، لأنها تعبر عن ذلك الواقع المليء بالحرمان، لهذا سعى الروائيون العرب أمثال "إبراهيم الكوني" إلى البحث عن هاته الكليات المفقودة، بحيث أن لغته في مجمل رواياته تتميز بالسمة الرمزية المليئة بالدلالات والرؤى الفكرية والفلسفية، إنها نظرة متعمقة في العالم، سافر بها الروائي الليبي بدون تأشيرة، إلى عالم ما ورائي غيبي، عالم بناه من فلسفته الخاصة، وجعلنا نذهب معه إلى فضاءٍ فسيح ونتأمل في عوالم صحرائه التي تتكلم فيها عن عادات مجتمعه وتقاليدها وقد طرح لنا في روايته "الورم" جدلية المركز والهامش هذه الثنائية الضدية التي تُكرس الأول وتهمش وتقصي وتلغي الآخر، وهذا من خلال كشفه لمطالب السلطة والمتسلطين وما يُحدثونه من شططٍ واستبدادٍ وتهميشٍ ضدَّ من يحكمونهم وذلك باستعمالهم لها بغير وجه حق، كما كشف لنا طبائع النفوس البشرية ممَّن أحبوا وعشقوا السلطة من خلال شخصية البطل المهووسة بالحكم والذي عشقها حتى الهوى، مما جعله يدفع الثمن غاليا فكانت نهايته بتورم جسده بعدما تورمت روحه في الظلم والجبروت.

وأمام تمظهرات المركز والهامش في هذه الرواية، اخترنا دراستها فصغنا لها عنوان بحثٍ كان

كالآتي:

"جدلية المركز والهامش في رواية "الورم" لـ"إبراهيم الكوني" مدفوعين بالبحث فيه لعدة أسباب نذكر منها:

-الرغبة الجامحة في اكتشاف العالم الروائي والصحراوي لإبراهيم الكوني.

-محاولة البحث عن موضوعة المركز والهامش في الرواية.

-تمظهرات المركز والهامش وأشكالهما المجسدة من خلال مركزية السلطة والحاكم وهامش الرعية والمحكومين.

-الرغبة في البحث واكتشاف مكونات الرواية نظرا للمكانة التي حظيت بها في العالم، ولأنها اعتُبرت نبوءة من طرف "الكوني" للأحداث الدائمة التي وقعت في ليبيا في الفترة الأخيرة.

دون نسيان السبب الوجيه والأكبر لهذا البحث ، وهو توسيع المعارف للطلبة والمرشحين لنيل شهادة "الماستر" في قسم اللغة العربية وآدابها وخريجي مؤسسة التعليم العالي. وعليها وقع اختيارنا على الرواية كجنس أدبي حديث ومعاصر ، فكانت رواية "الورم" باعتبار مكانتها ومكانة مؤلفها عالميا عموما والعالم العربي خصوصا. وعليه صُغنا إشكالية البحث كالآتي:

- ما مفهوم المركز والهامش وما طبيعة العلاقة التي تربط بينهما؟
- ما هي تمظهرات المركز والهامش في الرواية وما الموضوعات التي تناولت هذه الثنائية في الرواية؟

- أين يكمن البعد الجمالي للمركز والهامش في الرواية؟
- ما هي الحمولات والأبعاد الثقافية المخزّنة والمشحونة في رواية "الورم"؟
للإجابة عن هذه التساؤلات حدّنا هيكل البحث كالآتي:

ابتدأناه بمقدمة وأنهيناها بخاتمةٍ لخصت مجمل البحث ويحتوي في مضمونه على تمهيدٍ للبحث سعينا من خلاله إلى التعرف على العالم الروائي لإبراهيم الكوني. أمّا الفصل الأول فقد اخترنا أن يكون فصلاً نظرياً عرّجنا فيه على مفهوم المركز والهامش وعن الجذور الاصطلاحية لكلّ منهما وعن طبيعة العلاقة التي تربطهما.

فعنونا الفصل الأول ب: المركز والهامش: جدل المفاهيم وتحديد طبيعة العلاقة. أما الفصل الثاني والثالث فحرصنا أن يكون كل منهما فصلاً تطبيقياً، فعنونا الفصل الثاني ب: موضوعة المركز والهامش في الرواية ، وقد ضمّ تحته أربعة عناصر ، وهي:
-الكاتب وما كتب : نظرة عن كتب.

-عالم الصحراء المهمّش والمغترب عن عالم الرواية المتمدّن.

-مركزيّة الحاكم في السّلطة وهامش المحكّومين.

-صورة المرأة المهمّشة في الرواية.

-أمّا الفصل الثالث : فقد عنوانه بـ: جماليّات المركز والهامش في الرواية ، ويحوي كذلك على أربعة عناصر:

أولاً: ما قبل النص ، عتبات البداية.

ثانياً: القيم والأنساق الرّمزية في الرواية .

1-الصّحراء :

أ-رمز للوجود الإنساني.

ب-رمز للعزلة والتهميش والاحتجاب.

ج-رمز للرحلة القاسية نحو الموت.

د-رمز للتأمل والفلسفة والتّصوف.

2-"الخُلعة" رمز لتملّك السّلطة والحكم.

3-"آساناي" بطل الرواية ورمز الاستبداد والسيطرة.

وإضافة إلى هذه الفصول الثلاثة أدرجنا ملحقا يكون المتن فيه متضمّنا لمخلص الرواية ونبذة عن

حياة الرّوائي "ابراهيم الكوني" ، وأتبعناه بقائمة للمصادر والمراجع ثم فهرس للموضوعات.

معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي الوصفي على مدار هذا البحث وكذلك على منهج النقد

الثقافي والذي خدمنا بشكل كبير في الفصلين الثاني والثالث.

وخلال مراحل البحث هذه إعتمدنا على مراجع تخدمنا بالزّاد المعرفي نذكر أهمها:

- "أدب الهامش ونسق الهيمنة؛" مركزية الخاصّة وهامش العامّة" للأستاذ "مجنّاح جمال" (دروس

ومقالات)

-اشكالية المركز والهامش في الأدب لعبد الرحمان تبرماسين وصورية جيجخ (مجلة)

-رواية الورم لابراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي لفيصل أبو الطّيفيل (بحث ودراسة تحليلية)

-مسار التحوّلات المأساوية في رواية الورم لابراهيم الكوني خولة هولي بوزيان(مذكّرة)

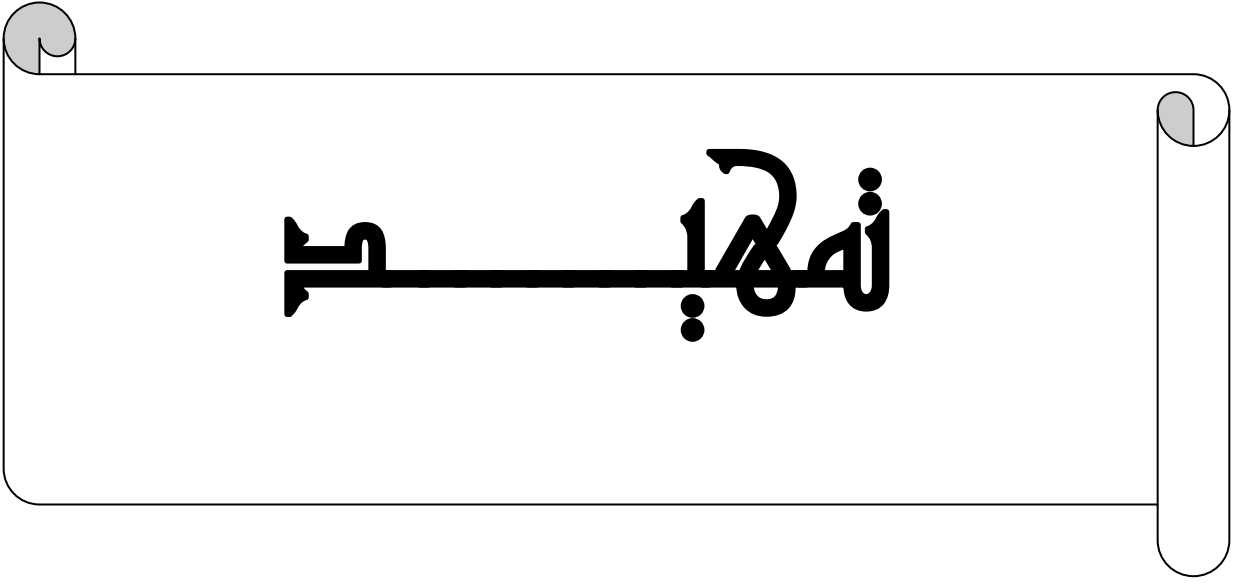
بعد الاعتماد على هذه المراجع ومراجع أخرى كثيرة ، واجهتنا صعوبات من بينها:

1- صعوبة فهم بعض المصادر والمراجع المعتمدة إذ أخذت منّا وقتاً وعمقاً كبيراً لفهم مضامينها والولوج إلى عالم "ابراهيم الكوني" الروائي.

2- صعوبة الكشف عن لغة الروائي ، لأنها لغة مشحونة بالدلالات والرموز المليئة بالحكمة ذات الطابع الفلسفي.

وفي الأخير نحمدُ الله عزَّ وجلَّ على عونه وعطائه.

والشكر الجزيل للأستاذ الدكتور "جمال مجناح" على توجيهاته ومساعداته.



تمهيد:

إنَّ حدود العلاقة بين الثنائية الصّدية للمركز والهامش، والتي تقابل بين درجات قوّة هويّات مختلفة، وحدود متحركة لا تعرف الثّبات بخلاف ما تُكرّسه المراكز بالنّسبة لهوامشها، وتشرّع هذه الحدود في الحركة والتّموج في عزّ طغيان وسيطرة المركز المولد في المجمل لمقاومة ثقافية عنيدة من قبل الهامش، حيث تؤكد السيرورة التاريخية لمختلف المراكز والهوامش العالمية أن كثيرا من الأفعال المُتجَبِّرة التي تمّ تأويلها في حينها على أنها نكسة التّاريخ بالنّسبة لهامش معين، شكّلت في الواقع المسمار الذي دقّ في نعش الكيان الحضاري الذي كان يمثّله مركزه.

وفي هذا السّياق، يمكن أن نُدرج "سعي المركز الغربي الحثيث في الآونة الأخيرة نحو تضيق دائرة الآخر لكي لا تشمل العربي"¹ فهذا السّعي المفرط يرمز حينما تُمعن فيه النّظر إلى أن الهامش العربي أصبح يحتل مركز الصّدارة في اهتمام المركز العربي الذي نتحدث عنه هاهنا بصيغة المفرد تجاوزا مما يفيد أنه هامش خطير.

ويبدو من الواضح أنّ الوعي المنتج بهذه الخطورة هو الذي بإمكانه أن يحقق ذات يوم حلم الكيان العربي بالخروج من دائرة التهميش، ونقصد به الوعي بالقوّة الرّمزية التي تمتلكها الثقافة لمواجهة هيمنة المركز الغربي في ظلّ سيادة الضّعف على كل المستويات.

في هذا السّياق يودّي الأدب دورًا جوهريًا بصفته جزءا من المادّة الثقافيّة وبوتقنة صاهرة لها من جهة، وباعتباره يتمتع باستقلالية نسبيّة على المستوى المادّي للمجتمع من جهة أخرى، كما يؤدي ذلك نمو وازدهار الرّواية العربي في ظلّ مجتمعاتٍ تابعةٍ وضعيفةٍ مادّيًا.

ومن الملاحظ أنّ أسئلة الرّواية العربيّة هي أسئلة هويّة في العمق، والقارئ الذي يصيخ السّمع لأصوات السّاردين والشّخصيات في كتابات المغاربة والمشاركة بالعربيّة وبلغات أجنبيّة، سينتهي به الأمر لا محالة إلى تغيير زاوية النظر لمفهوم الهويّة الذي تتجاذبه اتّجاهات سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة ونفسيّة متشعبة.²

¹ علاء عبد الهادي : شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل (الأنا بوصفها أنا أخرى)، عالم الفكر، الكويت، عدد يوليو -سبتمبر 2007م.
² المرجع نفسه.

ذلك أن الذات العربية المهمشة التي تأمل كسر طوق المركز الغربي ذات متعددة يحكمها منطق الثنائية الصّدية الحريصة على التّراثيّة (مركزها ماش)؛ وهو منطق تقاومه إنتاجات الرّوائيين المنتمين إلى الهوامش ، والذين جعلوا من الحفر في التّاريخ سبيلهم لمواجهة مفهوم الهويّة وأشهرهم في الوقت الرّاهن الرّوائي اللّيبّي "ابراهيم الكوني".

ويعيب بعض النقاد العرب على "الكوني" تكرار تناوله لموضوعات الصّحراء في أعماله الروائيّة ، ويرد بعضهم أيضا إن لم نقل جلهم إقبال الآخر على إنتاجه الرّوائي مترجما إلى لغات عالمية مختلفة إلى غرائبيّة فضاء الصّحراء.

والحال أنّ "الكوني" الذي ينتمي إلى مجموعة بشريّة مهمشة (الطّوارق) داخل بلدٍ مهمّش ثقافيًا (ليبيا) من قبل هامشٍ يعتبر نفسه مركزًا داخل الدائرة العربيّة (المشرق) ، أنتج تكرارًا ملؤه الاختلاف على مستوى زعزعة الصّورة النّمطية للصّحراء في المتخيّل الغربي ، بصفة الصّحراء عنصرًا ثابتًا في تصور الغرب للذات والهويّة العربيّة ، ويحول هذا التّصور للصّحراء كما هو معروف باستثناء بعض الكتابات إلى منتج استهلاكي مفرغ من عمقه الحضاري يثبّت أركان عناصر الصّورة النّمطية المتوازنة ، خيامٌ وجمالٌ وشمسٌ ورملٌ وفقرٌ وسرابٌ وعطشٌ...
أمّا على مستوى إعادة التفكير في أهم عنصر مشكّل للهويّة العربيّة ، حيث تلوح الصّحراء للإنسان العربي عنصرًا ثابتًا في تكوين الهويّة العربيّة أي عنصرًا لديه إيمان مطمئن أنه يعرفه حق المعرفة فلا يكلف نفسه عناء البحث عن كنهه.

وهو منذ أن كان طفلًا في العاشرة من عمره هام في رمال صحراء تمتد على مرمى البصر توقظ أبدية الصّحراء بداخله إحساسًا قاسيًّا بالصّياح ، وتُحيي هيمنة الظلّة عنده لهفة الاستكشاف.

" كان على "الكوني" في ذلك الوقت أن يواجه شبح هذا الموت ولم يكن أمامه من مفرٍ لقهر هذا الموت غير أن يروي ليعيش"¹

¹ مصطفى سليم ، إبراهيم الكوني وريث الصحراء يروي أساطير الأمازيغ باللغة العربية ولغات العالم، رصيف22 ، ليبيا ، بتاريخ 2017/12/26م.

بهذا المعنى جاهد "الكوني" ذاكرته واستهلّ مذكراته لبيعث أمة اسمها "الأمازيغ" في أعماله ، ويلعب في سيرة أساطير الصّحراء دور الرّوائيّ الذي يصبح مع الزّمن أسطورةً وحده تتدافع لغات العالم إلى ترجمة أعماله والحرص على وجودها في ثقافتهم.

إنّ "الكوني" اليوم يحظى بسيرة ومكانةٍ عالميّة في عالم الرّواية الرّحب؛ إذ كيف له في صحراء شاسعة أن يدرك الوجود باكراً ، ويتّخذ من الصّحراء كنزاً روحياً يخلق عبره عوالم قومه من "الأمازيغ" إلى العالم، فيصل دويّها إلى أربعين لغة حيّة ، لعلّ الإجابة تأتي من وعيه بمفهوم الهوية الذي كان دافعاً هاماً في حرصه على تسجيل حياة "الأمازيغ" روائياً ، ميثولوجياً تاريخياً ، دينياً وطقسياً.. ليعيد تصور العالم عن الصّحراء التي تعود ثقافة أهلها إلى بحر التاريخ.

وبذلك زرع الأسطورة القائلة بأنّ " الرّواية ابنة المدينة وهو ما ساد في بدايات القرن العشرين، فبرهن أنّها_ أي الرّواية_ عملٌ إنساني قبل أن يكون حكراً على المدينة، ويتيح للصّحراء أن تُسجّل كلماتها عبر نُصوصه التي وثّق وأبدع من خلالها المجهول عن عالم ظلّ مُهمّشاً منفياً ليس جغرافياً فحسب بل وروحياً أيضاً، وذلك عبر استنطاقه لكائنات هذا الوطن المنسي الذي لم يَز العالم فيه سوى خيالاتٍ عابرةٍ لأمةٍ ابتليت بالضّياح ، ما أسهم في اغتراب ثقافتهم اغتراباً تراجيدياً وعمّق عزلة تراثهم.

ومنذ عام(1983م) بدأت لغات العالم تنتبه إلى سرديات "الكوني" ، وكان البولنديون أوّل من التقط نصوصه ، فقدمت مجموعة من المترجمين مختارات قصصية له تحت عنوان " حَفَايَا الخلاء " ، بعدها اتجهت إليه الكثير من اللّغات كالرّوسية والألمانيّة والإيطاليّة والهولنديّة واليابانيّة والإسبانيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة والسردية والدانمركيّة...

وهو إلى جانب ذلك له نصوص وقصص وفصول من روايات منشورة بمختلف الدّوريات الأدبيّة من كل القارات بلغاتٍ عالميّةٍ مثل الصّينيّة والبنغاليّة والتركيّة والأوكرانيّة... ومن بين النّصوص المترجمة مثلاً: رواية " التّبر " إذ نقلت إلى أربع لغات ، كما ترجمت رواية " نَزيفُ الحَجَر " إلى خمس لغات ، ولا تزال الترجمة تلاحق سردياته إلى يومنا هذا.

ومن المفارقات التي تحيط "بالكوني" هو انفراده بعالمه الخاص والذي قضى حياته في الكتابة عنه باللغة العربيّة وهو الذي يعيش في أوروبا منذ سبعينات القرن العشرين لم يعرف طريقه إلى القارئ العربي إلا نسبيًا رغم أن رسالته وكتاباته ضلت في طريقها إليهم ، فبينما اختزل بعض القراء والنقاد العرب منجز "الكوني" في وصفه بـ "أسير الصحراء" التقط الغرب رسالته التي قدمت للإنسانية وللأدب تراثًا عريقًا وثرًا ترجمه إلى لغات العالم الحيّة بعدما استطاع "الكوني" استرداده وإعادة بعثه.

ويعتمد الروائي "ابراهيم الكوني" في مجمل كتاباته الروائية على نمط مغاير لما هو متداول في الساحة الروائية العربيّة ، حيث يقدّم في رواية "الورم" -وهي التي اخترناها كنموذج للدراسة والتحليل في بحثنا- تصورًا جديدًا لمفهوم السّلطة والحاكم والمحكومين باعتبار أن السّلطة تمثل مركز قوة ونفوذ وتسلّط وهي بمثابة هوس يملك صاحبه ووسواسًا يسيطر على جسده وروحه.

وتبرز قيمة الرواية في تسليطها الضوء على ثنائية المركز والهامش أو السّلطة والرعيّة أو الذين تمارس عليهم السّلطة وذلك وفق رؤية رمزيّة وفلسفيّة توائم متغيرات البيئة العربيّة المعاصرة وتحمل بين طيّاتها نبوءة ما شهدته أحداث الربيع العربي.¹

ولا شك أن انتماء الرواية مكانيًا إلى البيئة الصحراوية الحافلة بالمفاجآت وتوقع المعجزات واستشرافها زمنيًا مآلات التنافس حول السّلطة في المستقبل القريب قد جعل هذه الرواية المنعطف ملاذًا يستثير الحواس ويُدكي لدنيا الرّغبة في تحليل نصوص الرواية واستكناه الرّؤية العميقة لكتابها.

¹ فيصل أبو الطفيل ، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي ، بحث نشر في كتاب ، أمال مؤتمر الرواية العربية في الألفية الثانية ومشكل القراءة في الوطن العربي، الجزائر العاصمة في 21-22 أوت 2016 ، ص199.

الفصل الأول

المركز والهامش: جدل المفاهيم وتحديد طبيعة العلاقة بينهما

الفصل الأول: المركز والهامش: جدل المفاهيم وتحديد طبيعة العلاقة بينهما:

"المركز والهامش" ثنائية ضدية تُكرس الأول وتُهْمَش وتلغي الآخر ، وإذا بحثنا فإننا سنجد أن هذه الثنائية تجمع بين شيئين ، تكوّنت بينهما علاقة ضدية تنافرية شبيهة بالصراع الأزلي بين الذات والآخر".¹

ويُعدُّ المركز والهامش من أكثر المصطلحات غموضًا وإثارةً للجدل، إذ يدخل في عدّة مجالاتٍ منها: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية حيث يكثر تداوله. ولعلّ قيمته تكمن في قدرته على جمع هذه المجالات وتكييف عناصرها ، فكلمًا تطرّقنا إلى مجالٍ من هذه المجالات إلا وتداخلت معه المجالات الأخرى بشكل أو بآخر فيصعب الفصل بينهما أحيانًا.

ولمعرفة مفهوم المركز والهامش نحاول أن نقف عند بعض المحطّات التي يمكن أن تثير طريق البحث ولنتقص من خلالها جذور هذا الموضوع لغةً واصطلاحًا.

أولاً: المركز والهامش : المفهوم ، الجذور ، الأنواع:

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمركز:

1-1- المركز لغةً:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور " مادّة (ر.ك.ز) من ركز، والرّكز هو غرزك شيئاً منتصباً كالرّمح ونحوه والمراكز هي منابت الأسنان ، ومركزُ الجند هو الموضع الذي أمروا أن يلزموه و أن لا يبرحوه ، ومركزُ الرّجل موضعه، يُقالُ أخلّ فلانٌ بمركزه ، ومركز الدائرة هو وسطها...² ومنه "المركزي" : الذي تنتشعب منه فروع ترتبط به وترجع إليه. و"المركزيّة" : جمعُ السّلطة في مركزٍ واحد ، و"ركز" بمعنى كثّف ، و"تركّز" أي أصبح أكثر قوّة وكثافةً وانصبّ على مسألةٍ أو عملٍ وانحصر فيهما³.

¹ خليل سليمة ومشقوق هنية ، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش ، مجلة مقاليد ، العدد الثاني ، جامعة بسكرة، الجزائر ، ديسمبر 2011م ، ص113.

² ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، المجلد6 ، 2000م، ص214.

³ أنطوان نعمة وآخرون : المنجد الوسيط في اللغة العربية ، دار المشرق ، بيروت ، ط1، 2003، ص473.

من خلال ما سبق يتجلى لنا أنّ "المركز" هو الثابت المستقر في الأرض وهو النقطة التي منها ينتشر محيط الدائرة ، كما أنّ له معاني تدلّ وتتصلّ بالقوّة والتّحكم في الملك والسّمو وترتبط بالتّكثيف والاستحواذ.

1-2 المركز اصطلاحاً:

لقد تعرض كثير من الدّارسين لقضايا "المركز والهامش" على مستوى البنية السوسيوثقافية والسوسيواقتصادية كما كان الشأن في الدّراسات النّفسيّة والسياسيّة أيضاً ، ولذلك نجده في أخذ عدة تعاريف اصطلاحية متباينة حسب مجال المهتمّين.

أ/المركزُ في الدّراساتِ الاجتماعيّة:

المركز بوصفه مصطلحاً يردُّ بكثرة في الدّراسات الاجتماعيّة كعلم اجتماع التنمية بصورة كبيرة إذ يشير إلى مستوى عالٍ من التّركيز والهيمنة والسّيطرة.

وهو تعبير يستخدمه علماء الاجتماع "...بمفهوم اجتماعي وجغرافي للدّلالة على العلاقات القائمة بين قلب القوّة والثّقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة..."¹

ويتجلى المفهوم الاجتماعي القديم في التّقسيم الطّبقّي لفئات المجتمع، فتختلف طبقة الأسياد عن العبيد ، وطبقة الأغنياء عن الفقراء ، وتنتج عادات خاصّة باللّباس والأكل والشّرب والجلوس والسّم والسكن...

ولا يمكن للطّبقة الأدنى أن تمارس عادات الأسياد ، لتمييزها الطّبقّي ولاختلافها الاجتماعي والاقتصادي لكنها تتقاطع معها في بعض الحالات وخاصّةً في المجتمعات الإسلاميّة حيث تتقارب العادات والتقاليد بحكم التّدين.

" كما أنّ التراتبيّة الطّبقيّة تمتد في كل المجتمعات والعصور لأنها فيما يبدو تعبّر عن شكل من أشكال الحكم والتمييز أو النّخبويّة التي تبرّر لنفسها بثقافتها وسردياتها ومخيالها فوقيّة الأنا ودونيّة الآخر"²

¹ ميشيل مان ، موسوعة العلوم الاجتماعيّة:ترجمة عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، دط، 1999 م، ص99.
² يوسف عليمات ، جماليات التحليل الثقافي، ص30 ، نقلا عن جمال مجناح ، أدب الهامش ،نسق الهيمنة ، مركزية الخاصّة وهامش العامّة ، ص3.

ب-المركز في الدراسات الاقتصادية:

استخدم "راؤول بريش" مصطلح المركز لأول مرة لمفهوم الاقتصاد حين طرح قضية الاقتصاد العالمي الحر الذي قسّمهُ إلى قسمين بارزين :

"الدول الصناعيّة البالغة في التّقدم في مقابل دول المحيط وهي الدّول النّامية وقد اعتمدت دول المركز هذا التقسيم الذي فرضه التّقدم الصّناعي في القرن 19".¹

ويبقى الحال هكذا فدول المركز تزداد تقدماً بسرعةٍ تلقائيّةٍ أمّا الدّول النّامية المستغلّة فقد بقي تقدمها جدّ بطيء وغير مستقر ليتحول هذا الأنموذج إلى إيديولوجية سياسية اقتصادية تبرز شعور الدول النامية بالإحباط والتّهميش والاستبعاد عن دائرة الحضارة والإنتاج الآلي ، في حين تستأثر الدول المتقدمة بكل شيء تحتل الصّدارة ، لتحكمها في أدوات الإنتاج ووسائله.

ج-المركز سياسياً:

ونقصد بالمركز السياسي هو مكان وجود السّلطة وكل الإدارات التّابعة لها حيث تكون "الدّولة في مركزها أشدّ ممّا يكون في الطرف والنّطاق وإذا انتهت إلي النّطاق الذي هو الغاية عجزت واقتصرت عما وراءها ، شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت من المراكز والدوائر المنعكسة على سطح الماء من النّقر عليه"²

وتسقط الدّولة وتتهار "... إذا غلب مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنّطاق بل تضمحلّ لوقتها، فإن المركز كالقلب الذي تنبعث منه الرّوح ، فإذا غلب القلب وملك انهزمت جميع الأطراف..."³

ف"ابن خلدون" هنا يرى أن المركز هو بمثابة القلب النابض للدولة إذا غلب المركز لم ينفع الملك بقاء الأطراف أما إذا لحق الضرر بالأطراف فالملك مستمرّ إلى أن يأذن الله بزواله...

وفي القديم لا يمكن الاستفادة من الدّولة الواحدة إلا بالاستعمار المباشر لها ، فكانت العلاقات بينهما مبنية على الصّراع الحربي والتنافس السياسي ، أما اليوم فإن "...المراكز

¹ ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعيّة ، ص99.

² عيد الرحمان ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " مقدمة العلامة ابن خلدون" ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2007 ، ص173م.

³ المرجع نفسه ، ص174م.

الرأسمالية المهيمنة لا تسعى بالضرورة إلى فرض سلطتها السياسية لأن لها القدرة الفعلية على ممارسة هيمنتها بواسطة الوسائل الاقتصادية ، أما الدول في الحقب السابقة فإنها لم تكن واثقة من الحصول على منافع التبعية الاقتصادية التي تفرضها على الأطراف التي تريدها مادامت هذه الأطراف خارجة عن مجال نفوذها السياسي...¹

د/ المركز في الدراسات الأدبية:

ونحن نتحدث عن المركز في الدراسات الأدبية أو أدبيًا نذكر أن هذا الأخير محكوم عليه بعدة جوانب : دينية وسياسية وثقافية وفنية وجمالية؛ وبناء على ذلك تهتمش آداب وتبرز بعضها للوجود فتأخذ موقع المركز والصدارة.

وقد تباينت التعاريف التي تعرضت له، فهناك من يرى أنها " الآداب التي تشغل بحياة الترف التي يحيها الخاصة من الساسة ورجال الدين أحياناً"²

أو هو "ذلك الأدب الذي يخدم الطبقة العليا في المجتمع ، ولذلك فهو دائماً محتقن به ومحاط بالاهتمام والحنوة لأنه النموذج المكتمل الذي يُحتذى به لا لكونه بلغ الذروة من كمال التعبير، ولكن لكونه موافقاً للسلطة ولمخططاتها ، وهو بمثابة وسيلة إشهارٍ ودعاية لها لأنه يشيد بإنجازاتها ولو كانت فاشلةً فهو يحظى بالرعاية السامية من قبلها ، فنقام له المهرجانات والأماسي ويدرج في المناهج التربوية ، وإجمالاً هو الأدب الرسمي المتداول"³

وبناء على هذه الرعاية فإن هذا الأدب سيتداول بين الناس ويندرج في المناهج التربوية ، ليس هذا فحسب بل إنه ينال شهرةً واسعةً بفضل التوزيع والإشهار.

¹ الهادي تيمومي، مفهوم الامبريالية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، دط، 2004، ص14
² روبرت إسكارييه، سوسولوجي العرب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان ط3، 1999، ص58.
³ المرجع نفسه، ص59.

2- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للهامش:

2-1- الهامش لغة:

لهذا المصطلح في اللغة عدّة دلالاتٍ فقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور¹: مادة (ه.م.ش): و"الهِمَشُ" الكلام والحركة ، هَمَشَ وَهَمَشَ القوم فهم يَهْمَشُونَ وَيَهْمِشُونَ والمرأة هَمَشَتْ الحديث بالتَّحريك أي تُكثِرُ الكَلَامَ وتَجَلِبُ¹ ويقول ابن الأعرابي:

"الهِمَشُ وَالهِمَشُ" هو كثرة الكلام في غير صوابٍ وأنشد يقول: وَهَمِشُوا بِكَلَامٍ غَيْرِ حَسَنِ²

فالهامش هو الكلام غير المجدي ومثال ذلك المرأة الثرثرة تُكثِرُ الكلامَ والحركة فَتُحَدِّثُ بهما الجلبة .

أمّا "قاموسُ المُحِيطِ" فلا يكتفي بهذا المعنى فقط بل يضيف له "...الهامش حاشية الكتاب ويعني به الكلام الخارج عن المتن في الصّفحة فتجده على حافة الكتاب" وهذا التعريف للهامش هو إضافة جديدة أخذها العرب عن الفرس.

وقولك أيضا: "هَمَشَ يَهْمِشُ تَهْمِشًا: للكتاب ونحوه أي أضاف ملاحظات على هامشه ، " هَمَشَ الموضوع أي جعله هامشيًا ثانيًا وهذا ما هو عليه في مختلف المخطوطات العربيّة القديمة وقد تعثر على هامش الهامش أيضا"³

ونستنتج ممّا سبق فنقول بأن كل الدلالات المطلقة على "الهامش" توحى بالدونية وقلة الشأن والوضاعة...

2-2 الهامش اصطلاحاً :

على الرّغم من حداثة الاهتمام بموضوع "الهامش" في الفروع المعرفية المختلفة والذي يرجعه البعض إلى سبعينيات القرن الماضي ، فإنه في جذوره قد يمتد إلى قرون خلت ترتبط بوجود "المركز" المهيم ، ومن هذا المنظور فإن مفهوم التهميش أو الهامش الاجتماعي والهامش السياسي والهامش الاقتصادي والهامش الثقافي وبما فيه الأدبي ميادين تتعالق من حيث كونها علامات

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد 15 ، ص92.

² محمد إبراهيم الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1999، ص283.

³ أحمد العابد وآخرون ، المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة، لاروس ، 1989م، ص1272.

على وجود الهامش وفي مقابل المركز وبالتالي فإن المفهوم قد يتحول إلى قيمة إيجابية باعتباره موقفاً مخالفاً أو مقاوماً أو ندياً للمركز.

"ورغم ندرة الاهتمام بالهامش إلا بعد السبعينيات فإنه رغم ذلك قد ضمن حيزاً في الدراسات الاقتصادية أولاً ثم شغل مكانةً في الدراسات الأدبية"¹
أ/الهامش في الدراسات الاجتماعية:

إن مفهوم الهامش أو التهميش من منظور العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع تحديداً) قد فضل ولفترة طويلة توظيف مصطلحات أخرى مثل تلك المتعلقة بالفقر أو الأقليات أو التمييز أو الإقصاء ، وهي كلها مصطلحات تغطي الظواهر الاجتماعية والاقتصادية.

فالمنطقة الهامشية مثل هي: " ... إقليم يقع على هامش منطقة ثقافية معينة تلتقي فيه ثقافتان أو أكثر ، وتحلُّ فيه السمات الثقافية للثقافات المجاورة".²

فتهميش الجماعة يأتي من انبهارها بسمات ومميزات المركز فتتخلى عن عاداتها وتقاليدها ، لعلها تحصل على مكان مرموق في مساحة المركز ولكن للأسف ما إن تتخلى الجماعة على مميزاتا حتى تجد نفسها أضحت ظلاً لهذا التوهج الساطع فلا يمكنها العودة إلى ماكانت عليه ، كما أنها لا تتمكن من الوصول إلى مصدر هذا الضّوّ السّاطع مهما اختلفت وتعدّدت سبلها.³

ب/الهامش في السياسة:

ويقصد بالهامش في السياسة هو تشكّل سلطة سياسية نافذة على حساب أخرى إمّا لضعفها أو لعجزها أو نتيجة لتهميشها وإقصائها .

كما أن السّلطة " ...هي التي تقوم على سنّ القوانين وحفظها وتطبيقها ومعاينة من يخالفها ، وهي التي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة"⁴

¹ انظر: جمال مجناح ، جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمش، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، ص1.

² محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، السويس ، مصر ، ط1، ص277.

³ انظر: الباح دليلة ، المركز والهامش (مفهومه، أنواعه، جذوره)، مجلة قراءات ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها ، جامعة بسكرة، ص304.

⁴ انظر: جان وليام لابييار، السلطة السياسية : ترجمة إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط1979، ص9.

ومن جهة أخرى يؤثر الرأي العام على السلطة السياسية في سلطة مجسدة ، فينبغي على الرئيس أن يراعي في أحكامه موقف أنصاره وعمّاله ومواطنيه وعلى " الأمير قبل كل شيء أن يحترز من أن يبغض أو يحقر ، وعليه أن يتحاشى كل ما من شأنه أن يجعله بغيضا أو محتقرا"¹ لأن البغض والاحتقار سينتج عنهما الانقلاب والعصيان والحركات الثورية التي تختلف هي نفسها من حيث الشكل والأسلوب اختلافا كبيرا ، أحزاب سياسية ، مؤتمرات، جمعيات سرية... ولتقنيات المركز السياسي هناك طرائق كثيرة منها مثلا : الاستعمار المباشر بما يحمله من حرب ودمار ونفي الحكام أو موتهم في ساحات المعارك ، أو محاولة الانقلاب على السلطة من أجل تغيير النظام القائم وذلك باستخدام مخططات تستعمل أساليب متتالية وأسلوب إقامة جبهة شعبية وهي الخطوة الأولى...

ولا يلجؤون إلى حرب الشوارع إلا في نهاية عملية معقدة لتفكيك القوى المضادة أو تسميعها فتقوم وحدة الأقسام الرئيسية في هذه العملية بإدخال نواة معارضة إلى قلب الإدارات والجيش والبوليس للاستيلاء عليها وتفكيكها"²

ج- الهامش في الدراسات الأدبية:

ويسمى بالأدب الدوني أو الأدب الشوقي وأحيانا الآداب الهامشية وهو قطاع تتجاهله الكتب والبرامج الإشهارية أو المناهج التربوية.

وهو كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية.³ وبذلك عدّ كل أدب متمرد على السلطة والتقاليد أدب هامش فحكم عليه بالموت ، لأنه تجاوز المؤلف وتحدى السلطة ، وكذلك عدّ كل خروج عن المؤلف تحديا للكتابة الكلاسيكية ولقواعد الكتابة المألوفة ، ويشير " جابر عصفور " إلى هذه القضية بأنها : "ليست سلطة الدولة،

¹ ماكيفلي الأمير، ترجمة محمد بن البار، دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ، د ط، 1992، ص88.
² جان مينو، مدخل إلى علم السياسة ، ترجمة يونس، مكتبة الفكر الجامعي ، منشورات عويدات، بيروت ، لبنان، ط1، 1967، ص279.
³ محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، ط1، المعرفة الجامعية ، ص52.

ولكنها سلطة الكتابة الكلاسيكية الرومانية التقليدية ، فكل كتابة تخرج على النسق المألوف تعتبر كتابة هامشيّة¹

إذن لقد أخرج سلطة الدولة وربط هامشيّة الكتابة بقواعد الكتابة التقليدية ، فالهامش هنا بالنسبة للأدب والكتابة وقواعدها لا بالنسبة للسلطة.

ومن الدارسين من يرى الأدب المهمّش على أنّه الأدب المغضوب عليه من طرف المؤسسة ، إما لأنهم يحاربونها علنا أو يقدمون بدائل للحياة فأدب الهامش أو المحيط يأتي دائما لما هو مخالف للسائد والمعتاد ، حافلا بالجديد ، عامرا بالمفاجآت ، فتقوم المؤسسة (الكتابة السياسية) ، بلجّم صوته وقمع أفكاره ، ومنعه من تجاوز الخطوط الحمراء.²

ولذلك يمكننا تعميم هذا المعيار على موضوعات الهامش في الأدب مادام مفهوم الهامش يتحدد بمرجعية المركز من حيث الخروج عن السائد أو عن المألوف مثلما يخضع لمعيار اجتماعي ، اقتصادي ، أي أن هناك مؤسسة تسلط هذا المعيار أو ذلك على موضوع الهامش في أدب ما.

ونقصد به الموضوع الذي قد يصنف خارج المؤسسة الثقافية أو دون رعايتها أو حتى موافقتها أو خارج معاييرها وقيمها الأخلاقية والسياسية والاجتماعية ، مما يذهب بنا إلى اعتبار أدب المعارضة السياسية ، أو أدب الرفض والأدب الذي يعالج قضايا الأقليات والفقر والتسول والتشرد ... موضوعات من موضوعات الهامش أو من أدب الهامش ومن هذا المنظور فهو كل أدب " ينتج خارج المؤسسة سواء أكانت سياسية أو إجتماعية أو ثقافية أو أكاديمية تقع بعيدا عن الرعاية والاحتضان بل ويجري العمل على نبذه وإستبعاده من دائرة الضوء وقد تسلط عليه الرقابة"³

¹ حسن البجراوي، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية ، مجلد إعلاميات مكناس ، المغرب ، العدد18، السنة 2002 ، بتاريخ 17/03/21، ص3.

² انظر: كمال الريحاني، الفلسفي في عشب الليل لإبراهيم الكوني، ديوان العرب، منبر للثقافة والفكر والأدب، بتاريخ 12 جانفي 2007 م.

³ حسن البجراوي ، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركز، ص9.

ثالثاً: تحديد طبيعة العلاقة بين المركز والهامش:

"المركز والهامش" ثنائية ضدية تتركس الأول وتهمش وتلغي الآخر ، وإذا بحثنا فإننا سنجد أن هذه الثنائية تجمع بين شيئين تكونت بينهما علاقة ضدية تنافرية شبيهة بالصراع الأزلي بين الذات والآخر¹

فأما المركز فهو النموذج الأمثل المكتمل الذي يُحتذى به لهذا فهو يحظى بالرعاية السامية فتقام له المهرجانات والأماسي، ويُدرج في المناهج التربوية وإجمالاً فهو الأدب الرّسمي المتداول ، أما الهامش فيطلق على كل أدب منبوذ متمرد ومتجاوز لسلطة المركز، وقد شاع مصطلح الهامش في السنوات الأخيرة شيوعاً واسعاً لذلك انتشرت ظاهرة التهميش منطلقة من فكرة التخلي والنبذ.

"ويتشكل مفهوم "المركز والهامش" بحسب النماذج التي وُضعت له من ميدان لآخر وهي نماذج قابلة للتخريج على قاعدة العلاقة بين الطرفين أحدهما مركز والثاني هامش² ، وتتوالد هذه الثنائية ضمن مجموعة من ثنائيات أخرى يدرجها أصحابها ضمن تصورات ثنائية أخرى تحكمها علاقات جدلية وتآلفية.

إن هذا التوسع المفهومي قد يقودنا إلى مختلف التصورات التي مصدرها في الغالب فكر أو تصور مركزي يخلق لذاته الأولية والسبق والتّعالي مما يجعله يتغذى بأوهام الفوقية والنقاء والسّيادة ، إذا ما أقررنا بأن هذه القضية نسبية والمقصود بالنسبية هنا أنّها لا تتسم بصفات الثبات والديمومة .

ويمكن تعميم ذلك على كثير من العلاقات التراتبية والهرمية التي اختلقتها المركزيات المختلفة بدوافع الهيمنة والتسلط والتفوق "...فإرادة الهيمنة مسوغها هو الرغبة في التفوق وضرورة أن يكون هناك غالب ومغلوب أو متفوق ومتخلف؛ فكل حضارة راقية تنشئ علاقة تراتبية أو هرمية تستبعد من خلالها ما عداها من الثقافات المهمشة، لتتفرد بالتفوق والقوة في تجلياتها السياسية والعلمية والاقتصادية والعسكرية، فمن طبع المتفوق أن يحافظ على تفوقه وتقدمه المادي

¹ خليل سليمة ومشقوق هنية، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش ، مجلة مقاليد، العدد الثاني ، جامعة بسكرة، الجزائر ، ديسمبر 2011، ص113.

² جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوع الهامش والمهمشين ، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، ص5.

والفكري ، ومن طبعه أن يتمركز لتقوم حوله الهوامش الثقافية على سبيل الإذعان والاعتراف بالشوكة والعظمة.¹

فالعلاقات بين المركز وتقلباته (الأنا والذاتية)، والهامش وتنويعاته (الأخر والغيرية) بالإضافة إلى تمظهراتها ضمن ثنائيات متنافسة ومتصادمة مثل "شرق وغرب" و"غنى وفقير"، ونحوهما من الثنائيات المتعاقبة ، إنّما تعود إلى الإدراكات القائمة على المتخيّل ، فالعلاقة هي في الغالب خياليّة أو توهميّة ، والوهم أشدّ وطناً من الحقيقة لما له سلطة في التّحكم بالأفعال.

ونخلص إلى أن العلاقة بين المركز والهامش هي علاقة تتابعيّة و تلازميّة وراء خلفية الصّراع ولولا وجود المركز لما ظهرت هناك هوامش ، كما أن المركز عامل محفز في كثير من الأحيان ، لأنه يخلق في الهوامش آمالا وأحلاما للزّقي والتّطلع إلى الأفضل ، ولذلك يخلق الحركية فينتعش الإبداع عبر المنافسة ، ويمكن للمركز والهامش تبادل الأدوار بالغلبة والقوّة لأن المركز يستوجب الهيمنة والقوّة والسّيطرة على زمام الأمور.²

¹ محمد شوقي الزين ، الذات والآخر ، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع ، منشورات الاختلاف ، 2012/1، الجزائر ، ص:09.
² أنظر: عبد الرحمان تيرماسين وصورية جيجخ، إشكالية المركز والهامش في الأدب، مقال في مجلة المخبر ، العدد العاشر 2014، اتجاهات في اللغة والأدب الجزائري ، قسم الآداب واللغة العربية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ص19.

الفصل الثاني

موضوعة المركز والهامش في الرواية

الفصل الثاني: موضوعة المركز والهامش في الرواية:

أولاً: الكاتب وما كتب: نظرة عن كتب:

أضحت قضايا التهميش والإقصاء في العالم العربي في مقدّمة الموضوعات المطروحة على مستوى الكتابة الروائية العربية المعاصرة؛ فمن جهة تمثّل السلطة أحد مدارات الصراعات القائمة في الوطن العربي ، ومن جهة أخرى يزرع تحت وطأتها وجورها المواطن المقهور والمتأزم مادياً واجتماعياً إلى درجة يغدو كيانه محطّمّ النفس مسلوب الإرادة ، وتعدّ الرواية في عصرنا الحاضر أنسب فضاءٍ للكتابة عن هذه الأزمات والتقلبات التي جاش بها صدر المواطن العربي على شكل صرخاتٍ تطالب بحقّهم في قدر أدنى من الكرامة والعيش في ديمقراطية تضمن التوازنات الاجتماعية والاقتصادية بين الأفراد ومن يحكمهم.

وهذا ما يتولّى نقله على مستوى الكتابة الإبداعية المبدعون من كتّاب الرواية المعاصرة "فالرواية كجنس أدبي دائمة التغيّر لكونها منفتحة على احتمالات لا تحصى تفرزها الحياة الإنسانية ، وترتبط باللحظات الفلسفية الفارقة والتغيرات في الاقتصاد والسياسة وانعكاساتها على الأوضاع الديمقراطية والنفسية للكتلة البشرية.¹

وتبعاً لما سبق وقع اختيارنا في هذا البحث على رواية "الورم" للكاتب الليبي "ابراهيم الكوني" باعتبارها فضاء يضم بين جوانبه مجمل النتائج التي أفرزتها التجاذبات القائمة بين السلطة ومريديها وبين تداعيات الخروج عن السكة الصحيحة في ممارستها وما تقود أصحابها إليه من سوء المآل.

ولا شك أنّ انتماء الرواية مكانياً إلى البيئة الصحراوية الحافلة بالمفاجآت وتوقع المعجزات قد جعلها نبوءةً واستشرافاً زمنياً لمآلات التنافس حول السلطة في المستقبل القريب.

¹ لطيفة الديلمي ، أصوات الرواية ، حوارات مع نخبة من الروائيين والروائيات ، كتاب دبي الثقافية ، الإصدار 128 ، دار الصدى ، دبي ، ط1 ، يوليو 2015م.

ثانياً: عالم الصحراء المهّمّش والمغترّب عن عالم الرواية المتّمّدن:

يعتبر الرّوائي الليبي "ابراهيم الكوني" واحداً من أبرز الرّوائيين العرب والمعاصرين ، وذلك لتميّزه وتفردّه في تصوير عالم الصحراء الليبية والتي تمتدّ بسهولها غرباً نحو الجزائر والمغرب وموريتانيا وشرقاً حتّى تتصل بالصحراء الغربية في مصر جنوب قلب القارة الإفريقية.

وتتميّز رواياته بمجموعة من الخصائص الفريدة التي جعلتها تختلف اختلافاً كبيراً عن مثيلاتها من الرّوايات العربية الأخرى، ولعلّ أوّل خاصيّة هي: اشتغاله بموضوع الصحراء ، هذا العالم الذي ظلّ لآلاف السنين موطناً لقبائل الطّوارق التي تتداخل حدودها وتتلاشى في تلك الصحراء الشاسعة.

وهو العالم الذي نذر له "الكوني" أعماله الرّوائية ، فانكبّ على تصوير ذلك العالم المهّمّش بأسراره وعجائبه وغرائبه وذلك عبر سردياته المتواصلة ومن بينها رواية "الورم".

لقد نظر "الكوني" إلى عالم الصحراء نظرة معبّأة بالقداسة ، وكأنّها الفردوس المفقود ، لذا فهو يروي كل شيء فيها من حكايات وأساطير وخرافات ، كما أنّه يسلّط الضوء على منظومة الأخلاقيات والفضائل التي يتّسم بها أبناء الصحراء 1.

لقد أقام الكوني عمله الرّوائي "الورم" في عالم الصحراء المهّمّش والمقصى عبر مستويات وميادين عديدة، فمن المعلوم أن الرواية في بداياتها كانت فناً للطبقة البرجوازية من ساكني المدن في الأغلب، وهذا وفقاً لسيرورة نشأة الرواية الأوروبية وهو ما اختطته الرواية العربية من خلال نشأتها وتطورها.

مع كلّ هذا فإن رواية الورم من بين الروايات التي تمثل العناصر الأولى لدراسة أنثروبولوجيا الصحراء ، فهو لم يترك عنصراً إلا وسجّله من تاريخ جماعة من البشر توارثت المكان والثقافة والرؤية الكونية وأنماط العيش فجدت أنها مقبلة على التلاشي والاندثار والضّياح هذا بالإضافة إلى سياسة التهميش والاقصاء بفعل الزحف المدني ومشروعات المدنية والتحديث التي تقوم بها الدولة باعتبارها تمثل مركز القرار والتخطيط والحكم على حساب قاطنيتها أو من تمثل موطنهم الأصلي.

لقد زرع ابراهيم الكوني الأسطورة القائلة: بأن الرواية ابنة المدينة وأتاح للصحراء أن تسجل كلمتها عبر نصوصه التي وثق وأبدع من خلالها المجهول، عن عالم ظلّ مهمّشاً ومنفياً ليس جغرافياً فحسب ، بل روحياً وتاريخياً ووطنياً... عبر استنطاقه لكائنات هذا الوطن المنسي والمُقمع والمنبوذ الذي لم ير العالم فيه سوى خيالات عابرة لأمة ابتليت بالضّياع ما أسهم في اغتراب ثقافتهم اغتراباً كلياً وعمق عزلة تراثهم.

وفي هذا السياق تشكل رواية "الورم" عالماً يصف العلاقة المهمّشة التي تقوم بين الإنسان وعالم الصحراء في جوّ خُرافي واضح يفسر الحكاية السردية كلها تقريباً ، ولعلّ عنصر الإدهاش هو هذه اللعبة الخرافية القصصية التي يقدّمها "الكوني" ، حيث يشكّل التّضمين والاقْتباس من "القرآن الكريم" ومن النصوص الدينية والتأمّلات الفلسفية الوجودية وحتى الصوفية أيضاً مفتاحاً تحليلياً أساسياً إذا يصعب فهم فلسفة "الكوني" دون النّظر إلى العلاقة التي تقوم بين الحكاية التي يرويها والنصوص التي يقتبسها ويفتح بها فصول روايته.

لذا فإن روايته تُفصح عن حكم ومقولات سطرّتها أخلاق الصحراويين ونبالتهم، حيث نجد الكثير من التأمّلات الفلسفية الوجودية المتناثرة هنا وهناك، مما يدلّ على عمق رؤية الكاتب الذي دمج كل ما يرتبط بالحوادث والتفاصيل بأفكاره الفلسفية و تأثره بجوانب من المعرفة الإنسانية الشاملة ، الأمر الذي أعطى أعماله الكثير من وهجها الإنساني.

ومن أمثلة ذلك المقطع الآتي من الرواية: " يُقال أنّ التّنافس بين الواحيتين كثيراً ما أدّى إلى نزاعات خطيرة ولكن لم يحدث ولا مرة أن اشتعلت " آدري الشمال" حظوتها فاستخدمت ضدّ جارتها سلاح المياه لتميتها ظمأً، والفضل في التّحلي بهذه البطولة لا يرجع إلى روح التّسامح بقدر ما يرجع إلى روح الأوائل الذين يرون أن منع الماء عن الخصم (حتى وإن كان أعدى عدو) ليس جرماً في حقّ التّاموس الأرضي ، ولكنه انكار للتّاموس السّماوي."¹

لقد استطاع "الكوني" في عمله الرّوائي " الورم " أن يبقى هو نفسه الرّايي والحاكي للأحداث لكي يتمكّن من تقديم رؤاه وأفكاره عبر أبطاله وشخصه.

¹ إبراهيم الكوني، الورم ، ص62.

كما اهتمّ بتقديم جوانب من التّحليل النفسي العميق لحياة أبطاله الذين يواجهون مشاكلهم وأقدارهم لوحدهم في تلك الصّحراء القاحلة.

إنّ "ابراهيم الكوني" روائي متعصب لموضوع وعالم الصّحراء يقول : " أنا متعصّب لِلصّحراء ليس لأنني بطبيعة الحال ابن الصّحراء؛ ولكن لأنها الطّبيعة الوحيدة المتسامحة والمظلومة والتي تُدمر كل يوم وهي البيئّة التي تعاني منذ الأزل من التّدمير والتّهيمش والاستعباد والانكار ، بالرّغم من أنّ عالم اليوم كلّه يستمدّ الطاقة القادمة إلينا من الصّحراء والخيرات التي تمدّها الصّحراء في بلد مثل ليبيا أصبحت الصّحراء مصدرا للماء"¹

يُضيف "الكوني" قائلاً: " أنا وُلدت بالصّحراء ، وحبل السّرة موجود هناك ، الودد الأصلي هناك ، السّرّ الأول موجود هناك ، الكنز الأصلي موجود هناك ، صحيح أنّي لم أعش في الصّحراء فترةً طويلة ، ولكنّها في اللّواعي وهنا تصبح المسألة أقوى وأمتن عندما تسكن اللّواعي، في حين أنّني أعود الصّحراء وأزورها بشكل مستمر"²

إنّ نظرة "ابراهيم الكوني" إلى الصّحراء هي ذلك المكان الشّاسع الغني بتراتها الثقافيّ وبتنتاجها الرّمزي ، والفضاء الواسع للتأمّل والتّفكير كما كانت أفضل موطن للأساطير والأشعار والأديان، فالكتابة عن الصّحراء هي الكتابة عن الماوراء ، كتابة عن العالم الميتافيزيقي ، كتابة عن القوّة الفوق طبيعّية ، وبهذا تحوّلت الكتابة إلى لغز آخر من أغاز الصّحراء {...} لتقترب بالموت والجنون" ، وهي تمثل عنده فضاء الفردوس المفقود ، والجنة المفقودة، والشّخصيات في "الورم" هي شخصيات تعيش في الصّحراء وفي صراع أبدي مع الموت ، مع الفناء ، لا وقت لديها للتّفكير إلّا بما سيحفظ لها استمرار حياتها ، ويحضرها من مواجهة الفناء ، لهذا هي متأثرة بها بشكل واضح ، كما يبرز لنا تأثر الرّوائي بالبيئّة الصّحراوية من خلال توظيفه لكلمات مرتبطة بطبيعة المنطقة ، بلغة هادئة كذلك مثل: الجبال، الأثار ، الواحات ، المياه ، الجفاف... فقد سكن الكوني الصّحراء فسكنته " لهذا نجده يكشف عن هذه المعالم الصّحراوية عبر اهتمامه بطابع

¹ ضراء بن ياسين ، الإنسان والمكان والأسطورة في فلسفة إبراهيم الكوني الرّوائية ، المدى للإعلام والثقافة والفنون ، تاريخ النشر : الجمعة 25-03-

2011 :03:43 مساء.

² المرجع السابق.

التخيّل الذي يميل إلى التجريد وبعث الفكر الأسطوري في الكشف عن القيمة الأنثروبولوجية للمكان، والتي تتعلّق بمعتقدات المنطقة ، لأنها عالم مقدّس له أبعاد عميقة في حيلة الإنسان منذ ذلك الزّمن البعيد ، وهذه هي الفلسفة التي أدركها "الكوني" انطلاقاً من خلفيّة ثقافيّة وتأمّلات فلسفيّة غاية في التجريد.

ولا يخفى علينا علاقة الإنسان بالمكان الذي ينتمي إليه ، فمنه يستمد مبادئه التي بقيت راسخة منذ أزمنة غابرة وثابتة ، وفي هذا المكان ثبات شخصياته وثبات أصوله ، التي تمتد إلى ذلك الزّمن الأزلي إنه مشحون بالقيم الروحية ممّا ساهم في اكتشاف أسرار الطبيعة والبحث عن الحرية من نوع آخر تلتقي فيها البساطة مع العفوية ، عفوية التصرف وبساطة العيش دون تكلف سواء كان في المأكل ، المشرب ، أو حتى التعامل.

ثالثاً_ مركزية الحاكم في السّلطة وهامش الرّعية والمحكومين:

_السّلطة ، الرّعاية، الخلافة ، أيّاً كانت المسمّيات فهي تفرض وتُشرّع لصاحبها التسلط على رقاب الناس والرّعية وسلب حقوقهم وفرض قوانين تكون عوناً لصاحبها فتجيز له ما لاتجيز لغيره. هذا ما عالجه الرواية ، حيث قام "الكوني" بتشريح معنى السّلطة في حكاية رمزيّة تقوم على تأمل فلسفي وجودي عميق .

الحاكم والمحكومين ، السّلطة والمتسلّطين، الرّعيم والرّعية ... كلّها مصطلحات تؤكد على أن السّلطة بما تمتلكه من قوّة ونفوذ تجعل مالکها يمارس عن طريقها السّيطرة والاستبداد والتّهميش ضدّ من يحكمهم ويؤسيء بذلك استخدامها فيجيز لنفسه ما ليس له ويفسد في الأرض بغير وجه حق.

يناقش "الكوني" في هذه الرواية موضوع السّلطة والرّعية فيرى بأن السّلطة " ذات معنى واسع وشامل ، وهي تعبير عن الطّغيان ، ولها علاقة أيضا بطبيعة السّلطة اللّئيمة التي تستحوذ على الإنسان وعلى روحه فيتماهى معها ويصبح أداة بيدها هي وليس العكس ، إنّ السّلطة تتين مخيف ورهيب ومارد في غاية الجبروت ، يجب معاملتها كعدو، بمعنى أنّ لها طبيعة لئيمة بحيث تستطيع أن تزور حتى أقدس القديسين فيما إذا ارتضاها وقبلها ، هذا يعني أنها لا تنطبق على

الطُّغاة فحسب بل على كلِّ مرید سلطة لأنّها هي بطبيعتها لا أخلاقية وخطيئة لأنها محاولة للاستحواذ على العالم يصاب صاحبها في نهاية المطاف بلعنة لا تختلف عن لعنة الطرد من الفردوس"¹

ويكمن الداء هنا في أنّ طبيعة الإنسان كلّها سلطة ، فالحاكم دائما يتوهم أنّه يستطيع أن يستحوذ على العالم ، بل حتى على أرواح النَّاس ، وهذا بالطبع شرك بالمعنى الدّيني ، وهذا هو الكفر لأنه محاولة لاستلاب صلاحيات الرّبِّ على الأرض وهي قضيةٌ في غاية الخطورة"²

فمضمون الرواية يقول أنّ من يحاول أن يستحوذ على مصائر النَّاس ويمتلك العالم يطيع نفسه في واقع الأمر في مرتبة الرّب وينتزع من صلاحياته، ولهذا نجد أنّ نهاية الطُّغاة دائماً تكون نهاية مأساوية.

والكوني استحضر في هذه الرواية سطوراً من الحكم يبثها من خلال شخصيّة السُّلطان (آساتاي) وهي شخصيّة تُمثّل معنى الاستئثار والغدر والخيانة، من خلال الرّسول المكلف بتسليم الخلعة إلى من اختاره الزعيم حاكماً على أهل الواحة ، والرّسول يرمز للإنسان الحكيم، أمّا "الخلعة" فهي تشكل رمزا من رموز السُّلطة والجاه التي يضحي الإنسان لنيلها بأية وسيلة مهما دنت ورخصت.³

إنّ "الكوني" هنا يحاول تعرية أصحاب السُّلطة والتفوذ بأسلوب استعاري وأسطوري ، إنّها أسطورة الحاكم المستبد الطاغية الذي يتماهى مع السُّلطة تماهياً لا سبيل لانتزاعها منه إلا بانتزاع روحه منه، بمعنى أنه لا بد من قتله كي يتخلى عنها ، إنّ السُّلطة هي بالنسبة إلى هؤلاء هي تلك المعشوقة التي لا تترك عشاقها إلا أمواتاً.

وتبرز قيمة الرواية في تسليطها الضوء على تيمة السُّلطة وفق رؤية رمزيّة وفلسفيّة ثوائم متغيّرات البيئة العربيّة المعاصرة وتحمل بين طياتها نبوءة ما شهدته أحداث الرّبيع العربي، ولا شكّ

¹ مصطفى سليم، إبراهيم الكوني وريث الصحراء يروي أساطير الأمازيغ باللغة العربية ولغات العالم ، رصيف22 ، ليبيا ، 2017 /12/26.

² أنظر: المرجع نفسه.

³ أنظر: إبراهيم الكوني، الورم، ص21

أن انتماء الرواية مكانيا إلى البيئة الصحراوية الحافلة بالمفاجآت وتوقع المعجزات ، واستشرافها زمنياً مآلات التنافس حول السلطة في المستقبل القريب.

رابعاً_ صورة المرأة المُهمَّشة في الرواية:

تبدو صورة المرأة في نظر "ابراهيم الكوني" صورة غامضة مبهمة تتشابك فيها المشاعر وتتداخل بتعقيد محير وتخرج من أعماق متاهة مظلمة ، وهي صورة مغلفة بدهاء ومهارة بمشاعر كراهية تتدفق بها لوحات الكاتب ويوحى بها لقراءه كي يخفي ذلك الحنين الشديد للمرأة وذلك التوق إلى حضورها وتواجدها ، ففي هذه العلاقة المعقدة تختلط الأضداد وتتمازج وتتماهى؛ فلا تعود تستطيع أن تلمس تلك الخيوط الدقيقة الفاصلة بين الأشياء ونقائصها بين الحب والكراهية وبين العدوانية الفاجعة التي ترزع القراء لشدها وقسوتها وكذلك بين الشهوة والغواية والانقياد ، ولكن بين ذلك يندس بين جنباته ذلك العشق الشديد والحاجة الماسة لوجود امرأة.¹

ذلك الكائن الذي يصوره "الكوني" ناعماً كالحية عندما تلمسه ولكنه ما يلبث أن ينفخ في وجهك بشره ويلدغك بسمومه ويرديك بترياقه؛ فيحوّل حياتك إلى جحيم أبدي لا نهاية له وإلى ظلمة قاتمة لا شمس تُبدد سوادها ، والتطرف في الكراهية يخفي دائماً بين أعطافه ولها شديداً وولعاً أسراً ، فيتحوّل هذا العشق إلى أحد أشكال العدوانية لا يجد صاحبه متنفساً له على أرض الواقع.

عندما تدخل إلى عالم الرواية يروعك جفاف وغياب المرأة عن مسرح الأحداث ، ذلك العالم الذي تتداخل فيه الخرافة مع الحقيقة ، و تشكّل الصحراء بعزلتها وعظمتها وغموضها وإشاراتنا أحد معالمه الرئيسية ، كما تتحرك فيه رموز أخرى كالصوفية والنبوءة والعزلة فتعقد من أزمة وجود الإنسان الذاتية . فلا يمتلك إلا أن تشعر بعمق هذه الأزمة وباستعصائها على الحلّ، لتكتشف أن الإنسان مأسور في ذاته رهين بنصيب يصاحبه منذ انزلاقه من رحم الأم إلى أن يطويه الأرض.

¹ أنظر : أمل زاهد ، الكوني والمرأة ، عدوانية كره أم عشق ولون، مجلة الحوار المتمدن، عدد1671 ، 2006/09/12 ، 10:14.

وصورة المرأة في " الورم " هي في الغالب صورة مهمشة لأن الكوني يصور فيها المرأة على أنها رمز للشهوة والإغواء، وفي نفس الوقت رمز للعبودية والتملك خاصة من أصحاب القوة والسلطة " فآساناي " هو الشخصية المحورية في الرواية، وهو الذي يمثّل رمز السلطة والزّعامة على أهل واحته ، فلم يلبث أن استخدم قوّته ونفوذه في استباحة نساء أهل الواحة بغير وجه حق فتزوج النساء وهنّ في عصمة أزواجهنّ، وهذا إتهام من بين الاتّهامات التي تلاها رسول "الزّعيم" إلى "الحاكم آساناي" : " فقد تلا الرسول بنداً آخر في صحيفة الإتهام؛ قائلاً: ماذا تقول بشأن استباحة النساء؟

انتفض "آساناي" وتلاحقت في صدره الأنفاس، وأجابه :

_ لم أستبح امرأة واحدة غصباً؟

ردّ رسول الزّعيم :هل تريد أن تقول أن النساء لم يتمنّعن إلا من باب الرّغبة؟

_ بل لم يحدث أن تمنّعن أيضاً ، تلك فضيلة السّultan يا مولاي!

_ يُقال أنّك أنجبت ولداً من قرينةٍ وهي في عصمة قرينها يا مولانا!

- أيعقل هذا؟!

- هذا يُعقل يا مولاي في حال واحدة: عندما يمتلك الإنسان السّultan.¹

وكان السّطنة ترخّص من المرأة وتجعلها سهلة المنال لمن بيده السّطنة فهي عبد ومملوكة عند السّultan فلا يمتنع عنه و ذلك كلّه باسم قوّة الصولجان.

و"آساناي" قبل أن تفوّض له السّطنة كان ينام في العراء خارج الأسوار بعد أن جرّده النّاموس حتى من المتاع، وانتزع لصالح الدائنين بيته فاضطرّ أن يبيع قرينته في مزاد السوق ليفك الرّهن المشنوم حاول أن يمحو عاره باستعادة القرينة ولكن الوغد الذي اشتراها ركب رأسه لأنّها راقت له فقرّر أن يتخذها محظية له.²

" ... ابتسم آساناي بوجع ، قال دون أن يرفع بصره عن النّطع :

¹ إبراهيم الكوني، الورم، ص41.
² أنظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها .

-قلت لك أتي لا أذكر إنما اقترفته في حق السماء اللهم إلا إذا كان إسعاد نساء الواحة في
المخدع إنما جديرا بقصاص كرية كهذا.

ولكن السّاحر لم يستجب للدّعاية ، قال باستكباره المعهود:

-دَعَكَ من معانقة النّساء وحدثني عن الحبّ.

أفلتت من فم " آساناي " ضحكة صاح:

-أليست معانقة النّساء حبًّا في عُرف السّحرة؟

أجاب السّاحر ببرود:

-كلّ معانقة النّساء في عرف السّحرة ليست حبًّا.

تطلع إليه "آساناي" بدهشة ، ثم استدرك:

-آه ، لقد تذكرت أنكم تسمّون هذا العمل شهوة.¹

ويمكن أن نستنتج من خلال ما سبق بأن صورة المرأة في رواية "الورم" هي صورة مهمشة اذ

نجدها غائبة عن مسرح الأحداث وإن وجدت فدورها لا يتعدى بأن تكون رمزا للشهوة والغواية

والتمك والاستعباد...

¹ المصدر السابق، ص13.

الفصل الثالث

جماليّات المركز والهامش في الرواية

الفصل الثالث: جماليات المركز والهامش في الرواية:

أولاً: رمزية العنوان ودلالته في الرواية:

إنّ رمزية العنوان ودلالته تعكس ماله علاقة بالأحداث التي تجري في الرواية وبشخصية البطل الرئيسي والمآل الذي سينتهي إليه.

ويرجع سرّ تسمية الكاتب روايته بـ "الورم" إلى المآل الذي يؤدي إليه الإفتتان بالسلطة ، أي إلى النهاية الحتمية لمريد الزعامة والتي عبر عنها الكوني بـ "الخلعة" رمزاً لامتلاك السلطة وفي الآن نفسه تمثل مصراعاً من مصارع الاستبداد، وتبعاً لذلك فقد كان اختيار الاسم مناسباً جداً ومعبراً عن فحوى الرواية؛ فحبّ السلطة عندما يستحوذ على الانسان شبيه بالورم الذي ما إن يصيبه حتى ينتشر بكافة جسمه ويكون سبباً في هلاكه وتعبير آخر : إنّ الورم هو الداء الذي يصيب الانسان حينما يصير عبداً لشهوة السلطة وخادماً لغواية الزعامة فيعتبر نفسه مركزاً وكل من عداه هامشاً لا يصلح لها.

ثانياً: ما قبل النص: عتبات البداية:

ثمّة علاقة توازٍ تقوم بين الاقتباسات التي يضعها الكاتب في مفتتح الفصول وما يحدث في الرواية.¹

فمن عادة "الكوني" أن يستهل رواياته بمجموعة من المقتبسات غالباً ما تكون عبارة عن نصوص دينية أو حكم فلسفية وربما امتدت هذه المقتبسات لتشمل مفتحات الفصول وبالنسبة لرواية "الورم" فإن أول مقتبسة استشهد بها "الكوني" هي الآية الكريمة: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }²

وتتلوا الآية الكريمة مقتبسة أخرى من العهد القديم جاء فيها : " لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ إِنَّ أَحَبَّ أَحَدٍ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الرَّبِّ " ³

¹ فخري صالح ، ثنائية إبراهيم الكوني الصحراوية ، مجلة نزوى ، ع16 ، أكتوبر 1998 ، ص:234.

² سورة البقرة ، الآية:30.

³ رسالة يوحنا الأولى (2: 15) نقلاً عن : رواية الورم لابراهيم الكوني ، ص5

تُهيئ هذه المقتبسات القارئ لاستقبال مضمون الرواية وتقبل أحداثها المتتالية ، كما ترتبط بشكل مباشر بالغاية التي ينشدها الكاتب ويضعها نصب عيني القارئ منذ البداية ، يتعلق الأمر بتقديم تصور جديد لمفهوم السلطة ومركزيتها بالمقابل من هامش الرعية ، داخل مزيج يضم الواقعي والأسطوري ويستجلب دواخل النفس البشرية التواقفة إلى التملك والأنانية والطغيان والتحكم، ويستشرف نهاية مأساوية لكل من تلبس بالسلطة حتى صارت وربما يقضي على جسده وروحه معا.

إن استشهاد الكاتب بالآية الكريمة يتضمن إيماء ما دأب عليه الإنسان من خيانة للأمانة وتجبر في الأرض وتتكيل بالعبادة استجابة لنفسه الأمارة بالسوء وهو ما ينطبق على الشخصية الرئيسية والمركزية في الرواية " آساني " الذي سفك دماء الناس مجانا وفي مقدمتهم الرسول الذي جاءه بالخلة.

أما بالنسبة لمقتبسة العهد القديم فإن " الكوني " قد استشهد بها ليبرهن على أن محبة الله لا تجتمع مع محبة ممتلكات الدنيا في قلب واحد ، والسلطة من أكثر الأشياء التي تتعشقها النفوس المتذبذبة والبعيدة عن مدارات الإخلاص والعدل، والظلمة إلى الإفساد في الأرض وسنّ النواميس التي تخدم المصالح الذاتية على حساب المستضعفين والمنبوذين والمقهورين من الرعية الذين يمثلون الهامش.

وعلى ضوء ما سبق تبين لنا " أن تجاور هذه المقتبسات يخدم خطة الكاتب ، إذ يفتح مشروعه الروائي على المعرفة الإنسانية من ناحية ويتفاعل من ناحية ثانية مع الرؤية الروائية ويربطها بسياق الرواية العربية المعاصرة"¹

ثالثاً: القيم والأنساق الرمزية في الرواية:

1- الصحراء:

لقد كان للرواية العربية الحديثة نصيب كبير جداً في التعامل مع التراث بعد أن استقرت وأخذت مجراها الاجتماعي والأدبي وتأخت بحنو مع الأدب العربي الحديث، بدأت تعود إلى

¹ اعتدال عثمان ، قراءة استطلاعية في أعمال إبراهيم الكوني ، فصول مجلة النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد 16 ، العدد 4 ، ربيع 1998 م ، ص233.

التراث، وتستقي منه بسقاء حديث وهو ما فعله "ابراهيم الكوني" باستعماله الرّمز الأسطوري والتّاريخي والثّقافي بشكل مكثّف وواضح ممّا أثرى نصوصه وعمّقها فكريًا وجماليًا ، فكتب عن الصّحراء وجعلها رمزا روائيًا ذات أبعاد وخلفيات دلاليّة.

يقول في حوار له في قناة العربية : " الصّحراء هي رمز الرّوح ، الصّحراء هي قرينة الحرّيّة، الصّحراء هي قرين لأنبل ما في الوجود الإنساني ، لذا يجب أن نكبّر للصّحراء، أن نركع للصّحراء ، أن نصلي للصّحراء ، لأن كل علامة في الصّحراء هي صلاة للأبدية، الصّحراء ليست رمزا للوجود الإنساني فقط ولكنّها رمز للأبدي في أنبل معانيه، وليس عبثًا أن تكون كل الأفكار العظيمة نابعة من الصّحراء...هي عدم بطبيعة الحال لأن الموت عدم، ولكن ثمة حقيقة ما وراء الموت " ¹.

فالصّحراء باعتبارها فضاء مفتوح وروح عارية ذات قوانين مخالفة لذلك يرى ضرورة استتطاق قوانين هذه الرّوح العارية ، ووجد في الخرافة قدرة على استتطاق ذلك ، فإذا كانت الصّحراء القاحلة قاسية بطبيعتها وطقوسها ، فقيرة بإنتاجها ، إذ لا شجر ولا ثمر ، غنيّة بقيمتها ، بعالمها ، بفضائها الواسع ، بطهرها الذي يسمو عن الدّنس المادي ويتعد عنه .

فهي على بساطتها وبدائيتها وخلقتها الأولى وبدائية مجتمعها تحمل الكثير من الرّموز القدسية للإنسان وبأقصى ما تطمح إليه قوانين الإنسان المتحضرة في عصرنا.

أضف إلى ذلك معاناة الفرد داخل المجتمع الصّحراوي البسيط الذي لا يخلو من مشكلات ومغريات لكن الإنسان هو الإنسان سواء كان في الصّحراء أم في أرقى مدن الحضرة والحضارة، تتنازع قواه الجسديّة والرّوحية، هو الصّحراوي الذي بقي متمسكًا بعرفه وتقاليدته وعلاقته بصحرائه، بين واحةٍ وراحلةٍ وقطيعٍ وماشيّةٍ وجمال...

لكن هذه العناصر المكوّنة للصّحراء إضافة إلى مناخها القاسي ، تجعل العيش فيها طعمه ونكهته التي ربما لا تجود في أرقى بقاع العالم حضارة ومدنية...

¹ إبراهيم الكوني ، نزيف الحجر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط3، 1992 م، ص145.

فالصَّحراء بقدر ما هي رمز الانتماء والأصل بقدر ما هي رمز الخلوّة والعزلة، ورمز الرّحلة القاسية نحو الموت، والحرية والانعتاق، ورمزٌ للوجود الانساني ولكن رغم لك فهو عالم مهمّش ومقصى بالمقارنة مع المدينة ومركزيتها .

أ- الصَّحراء رمز للوجود الإنساني:

إنّ الحدس الذي أوحى إلى الكوني أن يقاوم بالحكاية ، ليصير الحفيد الذي يمسك بيد الصحراء الجدة ، ليخبر العالم عن حكايتها الثرية والمتنوعة التي ورثها عنها ، ويدخل بها حرم الرّواية العالمية متوجها بجواهر لغته فخورا بهويتها.

وبذلك زرع الأسطورة القائلة بأنّ " الرّواية ابنة المدينة" فبرهن أنها - أي الرّواية . عمل إنساني قبل أن يكون حكراً على المدينة ويتيح للصحراء أن تسجّل كلمتها عبر نصوصه التي وثّق وأبدع من خلالها المجهول عن " عالمٍ ظلّ مهمّشاً ومنفياً ليس جغرافياً فحسب ، بل روحياً وميثولوجياً ، تاريخياً ، وطنياً وحتى أدبياً وذلك عبر استنطاق كائنات هذا الوطن المنسي والمهمّش والمنبوذ الذي لم يرَ العالم فيه سوى خيالات عابرة لأمة ابتليت بالضّياع ما أسهم في اغتراب ثقافتهم اغتراباً تراجيدياً وعمّق عزلة تراثهم. " ¹

وتمثّل الصَّحراء في روايات الكوني عامّة وفي رواية "الورم" خاصّة فضاء بديلاً لكل الأوطان يستمد قوّته من شساعته وقساوته التي تكشف للإنسان حقيقة وجوده، وتحتّه على اقتحام المجاهيل زهداً في الملدّات واكتشاف لكنوز الذات وسعيها إلى تحقيق ضرب من السمو الأخلاقي بموجبه يزهد بما ملكت يدها ويربح روحه ويقي بدنه وينقذ نفسه من الوقوع صريعاً في قضية معشوقة مميتة اسمها السلطة. ²

وفيما يتعلق بفضاء الرواية فإنّ بيئتها كما عودنا الكوني في سائر رواياته بيئة صحراوية والأجواء فيها خرافية، لكنّها ضمنياً ترمز إلى مركزية السلطة والحاكم وهامش الرّعية أو المحكوم عليهم.

¹ مصطفى سليم، إبراهيم الكوني، وريث الصحراء يروي أساطير الأمازيغ باللغة العربية ولغات العالم ، رصيف22، ليبيا ، 2017، 12، 26م
² انظر : فيصل أبو الطفيل ، رواية "الورم" لإبراهيم الكوني ، ونبوءة الربيع العربي ، بحث نشر في كتاب أعمال مؤتمر الرّواية العربية ومشكل القراءة في الوطن العربي(مقال): الجزائر العاصمة في 21-22، 2016، 08، ص199.

والمدينة تقع على النَّقيض من الصَّحراء : الأولى رمزالتَّحضر المتدثّر بالباديات والثانية رمز العدم الذي تستتر وراءه الخافيات، وهي أرض خصبة لا باخضرارها ولكن برمالها التي تحتضن الخوارق والمعجزات ، والصحراء بالنسبة للكوني ليست مكان خلاء موسوم بالقساوة والمقاومة للبقاء على قيد الحياة ، ولكنها البديل الذي ينوب عن جميع أماكن الدنيا، إنها مَعْلَمَة ومُعْلَمَة تقدم على طبق من ذهب دروسا وعبرا في الوجود الإنساني ، وتزحزح قناعات الإنسان باستتارة الشك والتأمل لديه ليبلغ اليقين ويفهم سرّ الوجود ، وقد صرّح الكاتب بذلك فقال " أن توجد الصحراء يعني بديها حضور كل الأوطان ، بل حضور الدّنيا.

"هذا يعني أن على النَّاس أن يعلموا مرة واحدة وإلى الأبد أنني لا أكتب عن الصحراء كصحراء ، ولكنني أكتب عن الصحراء كاستعارة للوجود الإنساني بأسره."¹

وتبرز القيمة الرّمزية للصحراء أيضا في بعدها الوجودي عند الكوني بما عبّر عنه في إحدى رواياته بقوله : " الصَّحراء معلّم حكيم لم نستمع إليه طوال حياتنا ، لأننا كُنّا مشغولين بتنفيذ أوامر النفس التي لا تأمر إلا بالسوء "²

وتتأسس العلاقة بين الإنسان والطبيعة الصَّحراوية في أعمال الكوني ومن بينها "الورم" على ضرب من التلاحم والتّمازج منقطع النّظير .

"فتمتزج الطبيعة بالإنسان ويندمجان في بعضهما البعض وكأن الحدود تمحي بينهما ، فيكون الإنسان منظورا إليه من خلال الطبيعة ، وتكون الطبيعة منظورا إليها من خلال الإنسان."³

ب-الصَّحراء رمز للرحلة القاسية نحو الموت:

لقد أبرز "ابراهيم الكوني" في كتاباته أنّ الصَّحراء قاسية وعنيدة وهي امتداد لا متناهي ، فلا أحد يقدر نهايتها وقد تكون بعيدة وقد لا تكون ، لكنها بنظر الجميع سرٌّ لا يعرف أحد الوصول إلي حقيقته ، إنّ هذا المدى المحكوم بالمجهول يُولد رهبة خاصّة وشعورا بالانتهاء والخوف ، فهذه

¹ ابراهيم الكوني ، ثوب لم يدنس بسم الخياط(متون)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2012،1،ص:302.
² ابراهيم الكوني، الخسوف ، رباعية روائية ، ج3، أخبار الطوفان الثاني ، طاسيلي للنشر والإعلام و دار التنوير للطباعة والنشر ، ط2، 199،ص:137.
³ أحمد البدري ، خصوصية تشكيل المكان في آثار ابراهيم الكوني الروائية ، الرباعية نموذجا، مجلة قصص ، تونس ، العدد31،مارس2005،ص80.

المميزات جعلت الصّحراء عصيّة على السّيطرة لأنّها غامضة وقاسية وموحشة فهي تمثّل إذن فضاء الرّحيل الدّائم الذي يودّي إلى الموت أحيانا.

فالبطل في (الورم) كان عقابه الموت نتيجة حبّه وعشقه "للخلعة" التي هي رمز السلطة؛ ونتيجة أخطائه التي ارتكبها في حق من يحكمهم من أهل واحته وفي حقّ النّاموس بل في حقّ نفسه أيضا.

لقد اعترف له الرّسول الذي جاءه بـ"الخلعة" بأنّ: "لجُوءه لكتّم أنفاس النّاس وانتزاع ألسنتهم كتّمًا للسرّ ليس مجرّد خطأ، ليس مجرّد جرم في حقّ أعراف أهل الصّحراء؛ ولكنّه خطيئة يستحقّ صاحبها الموت ، لأن ما وُجِدَ وُجِدَ لِيُعْرَفَ لا ليخفى ، والأبله هو من يحاول إعادته إلى جوف الخفاء ، بلى أنت أبله يا " آساناي " ها أنت تقدم دليلا آخر تبرهن به على إخفاك في أن تفعل أي فعل صائبة يا آساناي ، لا في يومك هذا فحسب ، ولكن في كل أيام حياتك"¹

إنّ أخطاه التي ارتكبها استوجبت عليه القصاص ، والأمر سيكون أهون لو اقتضى الأمر تقديم الرّقبة ، لأنّ عليه أن يخضع لقصاص يتوجب عليه بمقتضاه أن يرضى باستقطاع جلده مع استيفاء الرّقبة عكس الشاة التي لا يهملها أن تسلخ شريطة أن تذبح قبل أن تسلخ " فالبلية لم تكن يوما في أن تموت ، وحتى إذا أفلح أهل الدّهاء ووجدوا ترياقا لإيقاف النّزيف، فإنّ هذه النّجاة لا تمنع عادة من الموت، ولكنها تنقلب في عُرْفِ الصّحراء إلى حياة العار الأسوء ألف مرّة من الموت".²

إن مصير الموت الذي آلت إليه شخصية البطل "آساناي" تحمل في باطنها ما يؤكد تأثيرات الفضاء في إحداث تلك المصائر ، ففضاء الصّحراء الذي استوعب وجود الشّخصيات وحركتها له طبيعته الخاصّة التي تستلزم إلحاق الشّيء من الهزيمة أمام طابع جبروت الصّحراء وسطوتها ليكون "الموت هو الوسيلة الوحيدة لمقاومة الموت واستمرار الحياة"³

¹ إبراهيم الكوني ، الورم، ص91.

² المصدر نفسه ، ص94.

³ إبراهيم الكوني، التبر، ص45.

ولكن ليس الموت وحده هو المظهر الدال على الصراع بين الفضاء والشخصيات وعلى تراجعها أمام قسوة الفضاء الصحراوي ، وإنما شكل الموت وأسبابه ودوافعه هو المحدد الحقيقي لعمق ما يدفع إليه الفضاء من فجائية واندھاش.

ج-الصحراء رمز للعزلة والاحتجاب :

إنَّ جُلَّ روايات "الكوني"، ومن بينها رواية "الورم" ، والتي تمسحت أحداثها في صحراء معزولة الواقعة في أقصى الجنوب الليبي ، وفضاء لا متناهي من الرمال الجارفة والصخور الوحشية وأشجار الشوك والشمس الجهنمية ، إنها صحراء قبيلة "الطوارق" التي ينتمي إليها الكاتب بالمولد والنشأة والتربية، وبكلِّ عناصرها الطبيعية الإنسانية والأسطورية ، بكل معتقداتها وتصوراتها وقيمها ، يتحرك أبطال الرواية في هذا الفضاء عن طريق الزاوي الموجود في الواقع والأحداث. فهو الذي يُحرِّك الشخصية ويرسم لها مسارها ويفسِّر تصرفاتها ويُطلق أحكامه الأخلاقية والقيمية على أفعالها، فكل شخصياته نجدها تعيش أو تحبُّ العزلة ، فمثلاً في رواية "الورم" نجد شخصية "الزَّعيم" الذي يُمثِّل رمز العزلة الأبدية والاحتجاب عن عالم البشر ، ممَّا جعل أهل الواحة (آدري الشمال) " يتساءلون في حُمى مُجادلاتهم أيضا عن سرِّ عزلة "الزَّعيم" فيحتاجون ، في حين يقول البعض بأن احتكامه إلى حرم العزلة كان فرارا من نذالات الرعايا وفقدان الحيلة في استرضاء أهل الصحراء ، يعترض فريق آخر فينفي عن جلالته هذه التُّهم قائلاً: أن "الزَّعيم" لم يفضِّل الحياة في الصحراء مهاجراً فراراً من ولاية هي دين في رقبته ، ولكنه انسحب إلى رحاب السكينة ليختلي بمعبودته الخالدة : الحرية ، وهذه المعبودة الخالدة ترفض أن تشرك بنفسها أحداً مثلها مثل أي معبود.¹

إن عزلة الزعيم إلى درجة الانقطاع إلى الخلاء والابتعاد عن أنظار الناس جعل منه شخصية غيبية ميتافيزيقية يتجادل أهل الواحة عن ما إذا كانت حقيقة أم وهم مصطنع ". فالزعيم

¹ إبراهيم الكوني ، الورم، ص68.

لم يحدث أن وقعت عليه عين إنس منذ تخطى لا ليعتزل فحسب ، ولكن ليتوارى عن الأنظار أيضا
 1 «

ومن الشخصيات التي مارست العزلة والاحتجاب: " صاحب القامة الطويلة الذين يخاطبونه
 باسم " إيدنان" ويلقبونه بالمهاجر واللقب الأخير كما يقال لا صلة حقيقية له بالهجرة ولكنه حميم
 الصلة بالعزلة واللجوء إلى الصحاري للانقطاع عن الخلق..."²

إن شخصيات "الكوني" أبت النزوع إلى المدن لأنهم قوم مثلت غرائز نشأتهم المعزولة
 وطبيعتهم الخشنة أبجدية تعلقهم بالصحراء بحسبانها وطنهم الفسيح الممتد.

ألفوا الصحراء وعشقوها بكل حبة رمل فيها ، فهي الحيز المكاني المنفرج على رحابة الخوف
 والزهبة والوحشة يهيمن فيه المنطوق الجمعي للواحة على رؤى الأفراد مؤسسا سلطة جمعية قد
 يكون الخارج عليها للحرمان من المجتمع الحميم والإفلات من مفازة العزلة والاحتجاب.

د- الصحراء رمز للتأمل والفلسفة والتصوف:

وأنت تقرأ في أعمال "الكوني" تجده يغوص فعلا في الميتافيزيقيا مبحرا في فضاء الصحراء
 مستأنسا بتجلياتها الفلسفية وغائضا في وجدانيات شخصياته القليلة جدا، وهذه هي حقيقة الصحراء
 المعاشة ، فالإنسان فيها يتلهف لبلوغ الفردوس ، بتخليه عن الشهوة والملكية... يقول كاتبنا في
 حوار أجري معه على قناة الجزيرة : " أن الصحراء هي مبدأ الميتافيزيقيا ، تربط الطبيعي بما وراء
 الطبيعي فهي تشرف على الأبدية ، وهي التي تدفعك على حديقة التأمل"³

وفي هذا السياق تُشكّل أعمال "الكوني" عالما روائيا تكتنفه الكثير من التأمّلات الفلسفية
 والوجودية والتأمّلات الصوفية ، فروايته "الورم" التي اخترناها تلخص رؤيته الوجودية عبر سرده
 للعلاقة التي تدور بين الحاكم والمحكومين وبين السلطة والمتسلّطين، وهذا المسرح الصحراوي
 بصراعاته يكشف لنا عن جوهر الطّبائع والخصال البشرية ، وعن تعالق الأساطير والخرافات
 والموجودات الصحراوية التي تدخل في نسيج حياة أهل الصحراء وتشكّل ثقافتهم وعقولهم وتتمّط

¹ المرجع السابق، 69.

² المرجع السابق، 53.

³ إبراهيم الكوني، عشب الليل ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ط1997، 2، ص38.

علاقتهم بالمكان وما يحتويه ، فالصحراء هي وحدها التي تجعل الوجود وحدةً واحدة ، حيث تغسل الروح فيها وتنتهر لتتمكن من الإتحاد بالخلاء الأبدي"¹

استطاع الكوني في تجربته " الورم " أن يُبقي نفسه هو الرّوي ، والحاكي للأحداث لكي يتمكن من تقديم رؤاه وأفكاره عبر أبطاله وشخصه ، لذا فإن أعماله جميعها ومنها "الورم" ، تُفصح عن حكمة أو مقولة سطررتها أخلاق الصّحراويين وتُبلّغهم حيث نجد الكثير من التأمّلات الفلسفية والوجودية المتناثرة مما يدلُّ على عمق رؤية الكاتب الذي دمج كل ما يرتبط بالحوادث والتفاصيل بأفكاره الفلسفية وتأثره بجوانب المعرفة الإنسانية الشاملة ، الأمر الذي أعطى أعماله الكثير من وهجها الإنساني.

إنّ رواية "الورم" هي أنموذج للرواية الفكرية؛ فهي تحوي قيمًا فكرية وفلسفية فيها شذرات من النفس الصوفي وذلك في بحثها عن تحرير الإنسان من كل القيود ، عن طريق فلسفته الصوفية معتبرا أن العيش في الصحراء النائية بحرارتها وقسوتها نوع من تطهير الإنسان من ذنوبه، عن طريق تغذيب جسده ليصل إلى الصفاء والنقاء الروحي المنشود عند الصوفية.

إن روح التّصوف تشكل أحد مكّونات العالم الروائي للكوني ، وهو مظهر واقعي يشيع انتشاره في الصحراء بوصفها المكان المناسب لظهورها ، فهي بامتدادها وبدائية الحياة فيها وبعدها عن الحياة الصاخبة، ومركز التجمعات البشرية ، تعتبر مكانا خصبا لنمو هذا النمط من النشاط الروحي والذي بدوره شكل خلفية لأحداث الرواية ورؤاها وأفكارها ومواقف شخصها ، فقد استخدم الكوني هذا الشكل في منجزة الروائي الذي بناه على مفهوم الخطيئة والذي رأى بأنّ الإنسان يآثم إذا تعلق قلبه بعلائق الحياة الدنيا: المرأة ، المال ، السّلطة... وقد شكلت هذه الرؤية الفكرية نسيج العمل الروائي كلّهُ.²

¹ أنظر: دحماني حليلة ، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني ، مجلة الاكتشاف والجال العلمية ، البيض ، الجزائر ، ع06 ، 2017 ، ص276.

² أنظر: المرجع السابق، ص279.

2- "الخُلعة" رمز لتمكُّ السلطة والحكم:

تمثّل الخلعة عنوان الفصل الأوّل من الرواية كما أنّها تتكرّر في فصول أخرى من الرواية ، ويحرص "الكوني" من خلالها على ذكر تبعاتها أي إلى المآل الذي يؤدي إليه الافتتان بها والنهاية الحتمية لمريد الزعامة، والتي عبّر عنها "الكوني" بـ (الخُلعة) رمزا لامتلاك السلطة ، وفي الآن نفسه تمثل مصرعا من مصارع الاستبداد والتسلط على الرعية وتهميشهم واقتراف الآثام والجرائم في حقهم باسم الخلعة التي ترمز إلى السلطة والزّعامة التي تكسب صاحبها قوة ومركزا وهيمنة فيصطنع لنفسه العظمة والسيادة بالمقابل من الرعية التي تمثل بالنسبة إليها رمزا للعبودية والانقياد. إنّها رؤية فوقية ترى في الحاكم خاصية لها اليد العليا والحق في السيطرة والتمكك والسيادة بينما تجعل من الرعية هامشا وعبيرا وأقل شأنًا وعقلا فلا يحسنون التدبير ولا تسيير شؤون السلطة.¹

والخلعة رديفة للسلطة قائمة مقامها عن طريق التّفويض كما يؤكد الكوني في الرواية أنّها ليست الخلعة من نصيب الفضلاء ولكنها طريدة السفهاء يقول "الكوني" : " الخُلَع" لم تخلق لتخلع على أناس أفاضل ولكنها خلقت لتخلع على أناس أراذل"² وبالعودة إلى ما تدلّ عليه هذه الكلمة في دلالتها اللغوية نجد : " الخُلعة هي : الثوب الذي يُعطى منحة"³ والعجيب أن هذه المنحة ستقلب مِحنة تؤدي بصاحبها إلى الهلاك : فالخلعة يلبسها مريد السُلطة فتلبسه حتى تقتله.

و"الخُلعة" رداء مسموم ما إن يلبسها صاحبها حتى تلتصق به إلى الأبد ، وما يثير الإنتباه أن " آساناي " صاحب "الخُلعة" لم يهتم كثيرا بهذا المرض الذي سيكون سبب لهلاكه وحتى سعيه في التداوي منها كان رهين الاحتفاظ بالخُلعة بدل التفكير في كيفية النجاة من شرّها والنتيجة أنّ حُبّ وعشق السُلطة تمكّن منه حتى النُخاع ، يُسأل " آساناي " :

¹ أنظر : جمال مجناح ، أدب الهامش ، نسق الهيمنة : مركزية الخاصة وهامش العامة، ص1
² إبراهيم الكوني ، الورم ، المرجع نفسه ، ص110.
³ جبران مسعود،الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت ، ط7، 1992، مادة (خلع).

هل أحببت مرة يا وليّ الأمر ؟ فيجيب : بلى ، أحببت ، أحببت "خُلعة الرّعيم" كما لم أُحبّ شيئاً في دنياي¹.... يجيبه العرّاف السّاحر: من أحب شيئاً أكثر مما ينبغي صار جزءاً من ذلك الشيء شاء أم أبى.²

التحمت الخلعة بجلده لأنه ظن بأن الخلعة حقٌّ أبدي مكتسب فالهبة تخفي دائماً قصاصاً في حين تبدو للبلهاء خلاصاً " لقد نسي أو تناسى " آساناي " أن (الخلعة أي السلطة) قد تسترد منه في أية لحظة بينما إذا ما ثبت عدم جدارته بممارستها ولن يتم ذلك إلا من خلال سلخ الجلد عن الرداء ، إذ لم يبق أمامه سوى خيار واحد وهو الموت.³

لم يستعجب عندما نهض في هجعة القيلولة ليجد الخلعة وقد تشبّثت بلحمه كأنها نبتت في اللحم نبتاً ، لم يكن عسيراً عليه أن يدرك أن تشبّثه بها هو سر تشبّثها به ، فالإنسان لا بد أن يصير جزءاً من أي شيء أحب حبا جمّاً⁴

الخلعة أيضاً رمز للخديعة (بإبدال اللام دالاً) ليستغلها صاحب السلطة لقضاء مصالحه الذاتية على حساب الرعية التي تواجه الخداع والظلم والتهميش يلبسها الطاغية ليغطي الجسد ويتكر للروح ، إنها توهم صاحبها لمنحه الخلود في السلطة وإذا كانت الخلعة مديحاً للجسد فإنها بالمقابل إهانة للروح.

" لقد اختلسته الخلعة فاستخدمته أسوء استخدام بدل أن يختلسها فيستخدمها خير استخدام"⁵

3/ رمزية الشخصيات في الرواية :

أ- "آساناي" بطل الرواية ورمز التسلط والاستبداد:

" يبدو أن الهيمنة وحب التسلط والتمكك أفكار ترتبط وتتبعث من وسائل غرائزية وطبائعية في الإنسان يحركها حب التملك أو حب النفوذ أو مرض العظمة أو هستيريا الحقد والحسد على الآخر"¹

¹ إبراهيم الكوني ، الورم ، ص13.

² المرجع نفسه، ص14.

³ انظر : فيصل أبو الطفيل ، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي، بحث نشر في كتاب اعمال مؤتمر الرواية العربية ومشكل القراءة في الوطن العربي (مقال)، ص195

⁴ إبراهيم الكوني ، الورم ، المرجع نفسه ، ص90.

⁵ إبراهيم الكوني ، الورم، ص09.

يجسد لنا البطل أساناي في رواية الورم رمز الشخصية الطموحة لنيل السلطة، بحيث كان انسانا عاديا شأن باقي الرعية ليتحول بعد ذلك الى حاكم اختاره الزعيم ليكون خليفته في الواحة عن طريق الخلعة التي يختبر بها من يهبها اياها ليتحول الى حاكم مستبد تجاهل نواميس الصحراء والعرف الصحراوي رغم التحذير المسبق والتنذيرات العديدة

لقد تحول الى انسان مهووس بالزعامة فسعى للاحتفاظ بالسلطة المتمثلة في "الخلعة" الميتافيزيقية التي تلقاها من شخصية مجهولة (غيبية) هي الزعيم الذي لم يسبق لأحد أن رآه أو لقيه.

تجري أحداث الرواية مكانيا في تلك الواحة القابعة في عمق الصحاري الجرداء حيث تتغير حياة " أساناي " من عبد تعيس منبوذ وحقير يمثل صورة المهمش المغلوب على أمره الذي لا يقدر على شيء سوى اقترافه للإثم والرذيلة إلى شخصية مركزية تفوض إليها السلطة فيصبح مالكا لها ، إذ يأتيه الرسول ببشارة ليكون بعدها سيد واحة وملكا على رقاب رعيته.

" ... ففي سحر لأحد الأيام انتشله الرسول من يأسه بالبشارة ، قال له بصوت واهن كالوشوشة أن الزعيم اختاره من بين الناس جميعا ليكون خليفته في الواحة ثم صمت أما هو فلم يصدق ، نهض من هجعتة وفرّك عينيه كأنه انتظر أن يصحو من الحلم فيتبدد الشبح كما تتبدد كل الأشباح ، ولكن الرسول لم ير في هيئته إلا وضوحا ازداد بياضا في عتمة السحر فلم يجد مفرا من الاستفهام.

-أيعقل أن يختارني الزعيم من دون الناس جميعا؟

-أجابه الرسول بصوت السكينة كأنه يتلو ترنيمة في صلاة : حكمة الزعيم سر لا يدرك ، ورحمته بلا حد.

-ولكن أهل الواحة رأوا في دوما أرذل الناس.

-الزعيم لم يكن على الصحراء زعيما لو رأى مرة ما يراه الناس!"²

¹ مجناح جمال، أدب الهامش ، نسق الهيمنة : مركزية الخاصة وهامش العامة ، ص1.
² أنظر: فيصل أبو الطفيل ، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي ، بحث نشر بكتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية ومشكل القراءة في الوطن العربي(مقال) ، ص199.

يرتدي "آساناي" "الخلعة" التي مُنحت له فيفسد في الأرض بكتمه أنفاس الرجال والنساء المعارضين له والذين جاؤوا ضد توليته حاكما وملكا على الواحة ، وكان يلهو مع الجواري والنساء متزوجات وممن هن في عصمة أزواجهنّ غصبا ويفرض المكوس ويعبث بأموال الرعية وأموالهم ويقتل أهل المشورة من الكهنة والسحرة والعرفانين ، ويرتكب الجريمة تلو الأخرى ، لقد انقلبت شخصيته من عبد منبوذ ، تعيسٍ ومرذولٍ إلى شخصية مركزية لكنها ظالمة ومستبدة على رعيته، إذ نجده يكرّس هيمنته وسيطرته ونفوذه على أهل الواحة ، فنسب إليهم كل ما ينفي عنهم العقل وحسن التدبير ووصفهم بالدونية وجعلهم ضمن طبقة لا تكون إلا تابعة لأنها لا تحسن التدبير بينما هو في المقابل صفوة ونخبة يجوز لها أن تسود وتفعل ما تريده " وهذا النسق الثقافي هو نسق متوارث أقامه المتخيل منذ القديم على ثنائية ضدية فللسوقة والعامّة والرعية؛ كل الأوصاف التي تجعل منهم هامشا يمارس عليه المركز نزواته من تحكم وتسلط، ويدّعي فيه غياب العقل والقصور والشعوذة وسرعة الانقياد وراء الخرافات"¹

-يأتيه رسول الزعيم ليسترد منه الخلعة بسبب خيانتة للأمانة وتفريطه في حق الناموس ، فيصدر الحكم عليه بخلع الخلعة عن جسده الملتصق بها ، لقد حكم عليه أن يسلم جلدته وهو حي ، فيموت نزعاً أو حزناً ، كما أخبره بذلك رسول الزعيم، لكنّه يُنكر الحكم ويرفضه ويشقّ عصا الطاعة فيرتكب خطيئته الأخيرة بقتله الرسول وإنكاره وجود الزعيم ، يتحوّل "آساناي" بعد ذلك إلى (مرید الاحتجاب) ، منعزلاً مريضاً شريداً منكفئاً على ذاته كارهاً للحياة والملاذات وبعد أن يتماهى جلده بالخلعة ، يتفشى الورم في هذا الجسد فيشرف الطاغية على الهلاك ويتردى إلى قعر الدّل والهوان.

هناك سلطة مركزية أعلى غيبية تفرض جزءاً من نواميسها إلى سلطة مركزية أقل منها ، الأولى مركزية "الزعيم" وهي هبة على سبيل الاسترداد ، والثانية مركزية الحاكم "آساناي" الذي صار وجوده متوقفاً على امتلاكها حتى امتزجت بجلده وصارت جزءاً لا يتجزأ منه وإذا كان ما يستعار حقاً لابد من إرجاعه لأصحابه ، فإن طغيان " آساناي " وتجبره واعتداده بنفسه زين له

¹ جمال مجناح، أدب الهامش، نسق الهيمنة: مركزية الخاصة وهامش العامة ، ص4.

الخروج عن النواميس وبسط اليد على ما كان تفويضاً من الزعيم له فكان أن جعل نفسه أحق بامتلاك السلطة من غيره ، فقتل الرسول وأنكر وجود الزعيم ليكون جزاؤه من جنس عمله، سيعاقب جسده بالورم مثلما ستعاقب روحه بالانحطاط في دهاليز المذلة والمهانة.

وبهذا الفهم " وضع الأسلاف عقوبة صارمة تجاه من تُسَوَّل له نفسه اختراق وصايا التأموس : إنه ليس الطرد من الفردوس بل كذلك المعاقبة والقصاص"¹

" إن رواية الورم رواية فلسفية تُعَرِّي أصحاب النُفوذ والسُّلطة وتفضح شهوة الإنسان إلى الطُّغيان فينسى أنه مجرد إنسان"²

إن أخطاء "آساناي" حسب ما جاء في الرواية كثيرة أولها أنه أحب "الخلعة" حباً جماً وللإنسان عادة " لا يهلك إلا بما يُحب أو يملك" ، كما مارس التجارة في القوافل كذلك ، تاجر بالماء وهو مقدس في الصحراء وهذا عُرف منهي عنه ، زد إلى ذلك اغتياله السّاحر عند إخباره بحقيقة وضعه على الرّغم من أنه أعطاه الأمان بعد أن استدعاه ليجد له حلاً بشأن "الخلعة" التي التحمت بجلده ، ثم بعث بزبانية من ورائه لكتّم أنفاسه فينتشر نبأ مقتله في اليوم الموالي ، ثم إنه استباح امرأة كانت في يوم ما قرينته ، ثم باعها في السوق ليعاود الاتصال بها واستردادها من زوجها بعد أن نال الحكم ، ليكتّم أنفاسها لأنها فضحت سرّه ، ضف إلى ذلك شهادة الزور ونفي الحقيقة ، والغدر برسول الزعيم ، وظلم الرّعية والانتقام ، فالانتقام خطيئة تدفع ثمنها عاجلاً أم آجلاً" ، كلها خطايا دفع فيها الزّعيم التحذير المسبق والعديد من الإنذارات والدراية الكاملة بنواميس الصحراء ، فكان عقابه أن مسخ بالخلعة فأصبحت جزءاً لا يتجزأ منه ، وقد قيل أن هذه الخلعة لفقت من جلود الحيوانات، فاخترها الزعيم لآساناي ، فحكمة الزعيم سرٌّ لا يدرك ورحمته بلا حد".

¹ أمل رشيد ، قداسة التأموس وسلطته في أدب إبراهيم الكوني (مقال) ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، العام الثاني ، العدد 11 ، سبتمبر 2015 ، ص:129.

² فيصل أبو الطّغيب ، رواية " الورم" لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي ، بحث نشر بكتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي ، ص199.

ب- الزعيم:

مثلت هذه الشخصية دور المحرّك والباعث للصراع في أحداث الرواية ، بحيث أنه " لا يجتمع سليل صحراء مع سليل صحراء إلا واستحضرا الزعيم ليكون في جلستهما وثالثهما" ¹ ويرجع ذلك لكون الزعيم قد فضّل الاحتجاب عن أعين عامة الناس هذا ما أدى إلى جدال في سيرته ، " وأحجبه خلوده المزعوم ، فغموضه وغرابة أطواره وطبيعة سلطانه وسر احتجابه ولعز هويته، ولعبته المفضلة مع الرعايا التي أطلق عليها القوم اسم الخلعة" ² ، هاته الخلعة التي يهبها لمن ينتقم ويبراهم الأنسب في نيل هبته ، أو بعبارة أخرى إلى من يحب أن يختبر سلطان عقلم.

ج- الرسول:

مثلت هذه الشخصية دور الوسيط والمساعد في الرواية ، لكن كان ضحية وكبش فداء ، لأنه قرّر أن يبلغ الرسالة، رسالة الزعيم القاضية باسترداد "الخلعة" من محبّ الخلعة، لأنه تشبث بمقولة " الرسالة هي الحياة" ³ ، وكذا بمهمته وهي البلاغ، لأنّ " رسالة الرسول البلاغ" ⁴ ولأنّ كل من احترق الحقيقة هو ضحية شاء أم أبى، كان كبش فداء ، هنا يصبح " آساناي" هو الجلاد والضحية هو الرسول الذي أحبّ جلّاده أكثر من حب جلّاده له ، هذه ملة الرّسل، هذا الرسول الذي فضّل الموت على خيانة رسالته ، وبفضل الجلاد تحرر من خوف الموت ، ولكن الجلاد لم يتحرر من الموت بفضل الرسول" ⁵ ؛ لأن هذا الأخير جاء لاسترداد الخلعة من "آساناي" وفصلها عن جسمه الذي أصبحت لصيقة به وجزء لا يتجزأ منه.

لأنه أحبها حبا جما ، أحبها كما لم يحب مخلوقا قط ، أحبّ هبة الزعيم أكثر من حبه للزعيم ، هنا وجب على الرسول استرداد الخلعة من جلّاده عن طريق سلخ الجلدة عن الجلدة وهو على قيد الحياة، هكذا شاء القدر أن يكون قصاصه لكن " آساناي" رفض هذا وواصل اقتراف الخطايا

¹ إبراهيم الكوني، الورم، ص67.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

³ المصدر نفسه ، ص132.

⁴ المصدر نفسه ، ص44.

⁵ المصدر السابق ، ص135.

، من هنا تحدد المصير المأساوي لكل من البطل الذي سبق وأن ذكره ، مصير الرسول الذي اختار تبليغ الرّسالة على خيانتها.

رابعاً: **الحمولات والأنساق الثقافية المشحونة في الرواية:**

"تتسم روايات الكوني بلغة عربية كلاسيكية تستطيع أن تصفها بلغة الاستعارة أو التورية ، بعبارة أخرى هي لغة روحية شبيهة بتلك التي كتب بها كبار المتصوفة أسفارهم بخيال ثري بحثاً عن الله ، وربما تكون لغته هذا إحدى العقبات التي وقفت بينه وبين القارئ العربي..."¹

عالم الكوني الذي بناه على " الرمز " في جوهره ، جاء وفق تقنيات سردية خاصة تدرس عليها ، وفي ظل حركات متفردة ، أهله لأن يكون مدرسة سردية لها عالمها وقوانينها ولغتها الخاصة بعيداً عن صخب يؤس المشد الروائي العربي في مجمله، ولو جاز لنا استعارة لغة المتصوفة ، فقد صنع الرجل مقاما روئيا خاصا مليئا بأساطير وديانات وبطولات الأمازيغ، وحكايات البشر والحيوانات وكائنات الصحراء الكبرى ، وخيال ومفردات ثرية سجّل عبرها أسرار الأمازيغ التي استردها من قبضة الضياع والتهيه.

تقنيات الرمز واللغة والقوانين الخاصة هذه فرضت على عالمه غموضاً، وحملت لغته دلالات وأبعاداً فلسفية بخيال ثري يستعصي على أفهام كثير من جمهرة القراء، أبعده هذا الطبع عن دائرة القراء العرب ، والحق أن الأوروبيين أكثر منا معرفة بمنجزه ، ففي حين عده بعض النقاد " أسير الصحراء " رأى الأوروبيون في الصحراء وسيلة فنية لا غاية ، " فدائماً ما يقرأ لنا الأعراب بالإنابة ليكتشفوا كنوزنا التقنية.

إنّ رواية "الورم" عبارة عن مزيج متناغم من مشارب شتى تتقاطع جميعها في نقطة تماس الأدب بالفلسفة، والمحصلة تركيبية أدبية فلسفية من طراز رفيع ، تمتص رحيق أجناس المعرفة المختلفة محدثة فيما بينها أنواعاً من التداخل والتفاعل والتكامل ، يعتمد عليها الكاتب ليعيد ترتيب الأشياء والمفاهيم من زاوية تأملية خاصة ، تدفع القارئ إلى مراجعة نفسه واكتشاف ما حوله في وجوده وبعده الإنساني ، ولا يحقق على قارئ فطن أن نصوص الكوني تحتاج إلى تفكير عميق

¹ مصطفى سليم ، إبراهيم الكوني: وريث الصحراء يروي أساطير الأمازيغ باللغة العربية ولغات العالم (مقال). رصيف 22، ليبيا، بتاريخ 2017/12/26م

وتأمل دقيق لإيجاد منافذ تيسر التواصل معها ، ليجد هذا القارئ نفسه واقعا تحت سطوة النصوص الروائية التي يبدعها إبراهيم الكوني على غير منوال سابق.¹

تقول "الناقدة إعتدال عثمان: "إنّ نصوص الكوني تكشف عن رؤية مثقف واسع الثقافة ، يتمثل التجربة الإنسانية والتراث العالمي تمثلا عميقا"²

ومن الطبيعي أن هذه الثقافة الواسطة والمتعددة المشارب والتعدد دليل على الثراء والعمق ، مكّنت الكوني من توليد نصوص جديدة في رواياته، وهي نصوص تجاوز ما سبقها وتضيف إليه جديدا ، وهذه إحدى سماتها التي تميزها عن غيرها وتجعلها نهرا متدفقا يفتش عن مصب ذهبي وعن قارئ متتور ينبته إلى المعاني الثأوية خلف أستار نصوص الرواية.

لقد ابتدع الكوني فضاء روائيا أسطوريا رمزيا يستظل بالصحراء فجعله مجالا للأطروحات الفكرية والفلسفية والأنثربولوجية ، فبفضل موهبته وموسوعيته استطاعت روايته أن تصنع عالما روائيا بديعا قائما على الحفريات المعرفية والتاريخية في ضوء متغيرات الحاضر وعلى الابتكار السري الواعي بمعدن السرد بجواهر الفن الروائي المرتبط برؤيا رمزية وإيديولوجية.

وقد وظّف كاتبنا موروثا ثقافيا كبيرا بعضه نتاج الحياة الخاصة للطوارق والبعض الآخر جزء من الميراث الثقافي للمنطقة ، كما أضاف من مخيلته ومن معارفه الكثير، إن عالمه مليء بالرموز غني بالأساطير والحكايات والأحداث الغريبة ،تحشد جميعها للدلالة على روح الصحراويين وتقاليدهم العريقة خليفتهم الثقافية، إنه عالم مشحون بالانفعالات العميقة وما يميّز الخطاب السردى لإبراهيم الكوني أنه يكشف لنا عن جانب من حياة قبائل الطوارق البربرية ، فالمحكي يراكم شبكة من التفاصيل الرمزية والدلالية ترسل حضور هذه الهوية إذ يقدم لنا شخصيات بأسماء طارقة ليبية قديمة ، وكذلك على حضورها خاصة في سياق وضع سياسي يضطهدا ويهددها بالتلاشي والاندثار والتهميش...

¹ فيصل أبو الطفيل ، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي ، بحث نشر بكتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية في الألفية الثانية ومشكل القراءة في الوطن العربي ، ص199.

² إعتدال عثمان ، قراءة استطلاعية في أعمال الكوني ،فصول مجلة النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد 16، العدد4، 1998م، ص233.

خاتمة:

لقد حاولنا في هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية والتي تضمنتها إشكالية هذا البحث المتمثلة في:

ماهية المركز والهامش وما طبيعة العلاقة القائمة بين هذه الجدلية في الرواية؟ وما الموضوعات التي تناولت المركز والهامش؟ وأين تكمن جمالية الطرح المركزي والهامشي عند الكوني؟ وماهي الأبعاد والخلفيات والحمولات الثقافية؟

حاولنا الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال فصول ثلاثة، توصلنا فيها إلى النتائج التالية:

-في الفصل الأول وجدنا أن:

لمفهوم المركز والهامش جذور في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكذا الأدبية. إنها بمفهومها العام جدلية تتركس الأول وتهمش وتُلغي الآخر، وخلصنا إلى أن طبيعة العلاقة القائمة بينهما هي علاقة تلازم وتتابع وراء خلفية الصراع ، فلولا وجود المركز لما ظهرت هناك هوامش ، إلا أن تبعية وخضوع الهامش للمركز هو الأمر البارز.

لقد تعددت الموضوعات التي تناولت جدلية "المركز والهامش" في الرواية وقد جاء الحديث عنها في الفصل الثاني من البحث وتمثلت في:

موضوعة الصحراء المهمشة عن عالم الرواية المتمدن، فهي بالنسبة للكوني تعدّ فضاءً بديلاً لكل الأوطان يستمد قوته من شساعته وقساوته ، وهو الموطن الذي ظل لآلاف السنين موطناً لقبائل الطوارق.

إن عالم المدينة يقع على النقيض من عالم الصحراء فالأولى رمز للمركزية والتحضر المتدثر بالباديات والثانية رمز للعدم والتهميش والذي تستر وراءه الخافيات.

لقد عالجت الرواية موضوعة السلطة ومركزية الحكم وما تشرّعه لصاحبها من تهميش واستبداد وتسلّط على رقاب الناس وسلب الحقوق وفرض للقوانين الجائرة.

إنّ "الكوني" في "الورم" حاول تعرية أصحاب السّلطة والنّفوذ والحكم بأسلوب استعاري وأسطوري ، إنّها أسطورة الحاكم المستبد الذي يمارس سياسة القمع والتّهيمش ضدّ من يحكمهم وهذا باسم السّلطة التي تمنح السّلطان مركزية وصلاحيّة خاصّة تجيز له ما لا تجيز لغيره.

- طرح الكوني حكمة انقلاب أوضاع الإنسان من حال إلى حال عبر الشخصية البطلية في الرّواية وكيف انتهت حياته نهاية مأساوية.

- بيّن "الكوني" مصير من يحاول التسلّط على من يحكمهم لينتهي هذا المصير بتحوّله إلى قربان أو ضحية ، لأنها محاولة لطمس الحقيقة وإعدامها عبر العبث بالمصائر.

- إن قراءة لرواية "الورم" بينت لنا صورة المرأة غامضة ومبهمّة عند "الكوني" وفي نفس الوقت يخفي تحتها ذلك الحنين الشديد للمرأة والتوق للحضور ، إنّها علاقة معقّدة وملبّنة بالمشاعر المتناقضة بين الحبّ والكراهة ، التّهيمش والتّقديس ، القسوة والعشق الشديد والحاجة الماسّة لوجودها.

- إنّ القيم الجمالية للمركز والهامش في الرّواية والتي أدرجناها في الفصل الثالث من البحث،

تمثلت في:

- عتبات النص ، إذ أنّ ثمة علاقة توازيّ تقوم بين الاقتباسات التي يصوغها الكوني في مفتح الفصول وبين أحداث الرّواية ، وهي تهيئة لاستقبال مضمون الرّواية.

إنّ استشهاد الكوني بالآية الكريمة وبمقتبسة العهد القديم تتضمن إيحاء لما دأب عليه الإنسان من خيانة الأمانة وتجبر في الأرض وتنكيل بالعباد، وهو ما ينطبق على شخصية البطل في الرواية ، وهي دليل أيضا على أنّ محبة الله لا تجتمع مع محبة ممتلكات الدنيا في قلب واحد.

- لقد حاولنا في الفصل الأخير من البحث الوقوف على المستويات والقيم الرمزية التي اشتغل عليها الكوني في روايته .

إنّ الصّحراء القاحلة والقاسية بطبيعتها ، الفقيرة بإنتاجها والغنية بقيمتها وفضائها الواسع ، هي رمز للوجود الإنساني ورمز للعزلة والاحتجاب ورمز للرحلة القاسية نحو الموت ، إنّها امتداد لا مُتناه في السّر الذي لا يعرف أحد الوصول إليّ حقيقته.

-الأبعاد الرمزية لعالم الصحراء والتي يحوي قيما فكرية وفلسفية فيها نوع من النفس الصوفي الذي يعتبر الصحراء النائية بحرارتها وقساوتها نوع من تطهير الإنسان من ذنوبه ليصل إلى الصِّفاء والتَّقَاءِ الرُّوحِي.

-لقد جسّدت لنا الرّواية من خلال صراع البطل " آساناي " صراع الإنسان مع الإنسان من أجل الحكم والمادة في عالم لم تعد فيه للأخلاق مكان ، فشاع فيه حب الماديات التي قادتة إلى الهلاك.

-صوّر لنا الرّوائي من خلال لغة الرّواية طغيان الإنسان على أخيه الإنسان حيث بنى الكوني عوالمه على عوالم غيبية ، ما ورائية عبر الكتابة عن الصحراء ، كفضاء غير محدود بامتدادها اللانهائي.

-إنّ الخلفيات الثقافية للرواية والتي جسّد الكوني من خلالها مأساة الإنسان العربي المهمش في ظل صراع القوى المركزية الكبرى.

-لقد عبّرت الرواية بشخصياتها وزمنها ومكانها عن واقع الإنسان العربي بطابع مأساوي، رسم الكوني حدودها وحدود الإنسان الذي لا يجب أن يتجاوزها ويخرج عن مسارها.

ولا نزعم أنّ دراستنا لجدلية "المركز والهامش" من خلال رواية "الورم" لـ "الكوني" قد بلغت منتهاها، وحسبنا أننا قمنا بهذه المحاولة للوصول إلى بعض أوجه هذا المجال البحثي الذي يبقى ممتدا أمام الباحثين لإكمال بقية جوانبه العلميّة والفنيّة، والله الموفق.

قائمة المصادر

والمراتب

❖ قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أ-المصادر:

❖ المدونة:

1. إبراهيم الكوني: الورم ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ط1، 2008.

ب-المراجع:

❖ المراجع العربية:

1. إبراهيم الكوني، الخسوف، رباعية روائية ، ج3، أخبار الطوفان الثاني ، تاسيلي للنشر والإعلام

، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط2، 1991.

2. _____ ، ثوب لم يدنس بسم الخياط (متون) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت ، ط1.

3. لطيفة ديلمي ، أصوات الرواية ، حوارات مع نخبة من الروائيات والروائيين ، كتاب دبي

الثقافية، الإصدار 128، دار الصدى ، دبي ، ط1 ، يوليو 2015م

4. محمد شوقي الزين ، الذات والآخر ، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع ، منشورات

دار الاختلاف ، الجزائر، 2012.

5. الهادي تيمومي ، مفهوم الإمبريالية ، دار محمد علي للنشر ، صفاقس ، تونس ، د ط،

2004.

❖ المراجع المترجمة:

1. جان مينو ، مدخل إلى علم السياسة ، ترجمة يونس، مكتبة الفكر الجامعي ، منشورات عويدات

، بيروت ، لبنان، ط1، 1974م

2. جان وليام لابييار ، السلطة السياسية ، ترجمة إلياس حنا إلياس ، منشورات عويدات ، بيروت ،

لبنان ، ط1، 1974م.

3. ماكيافيلي الأمير ، ترجمة محمد بن البار ، دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ط1، 1998م.
4. ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية ، ترجمة عادل مختار الهواري ، دار المعرفة الجامعية، مصر ، د ط ، 1999م.

المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العربي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000م.
2. أحمد العابد وآخرون ، المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، لاروس ، 1989م
3. أنطوان نعمة وآخرون ، المنجد الوسيط في اللغة العربية ، دار المشرق ، بيروت ، ط1، 2003م.
4. حيران مسعود ، الرائد: معجم لغوي عصري، دار العلم ، بيروت ، ط7 ، 1992م
5. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، د ط ، المعرفة الجامعية ، مصر.

الرسائل:

1. غولة هولبي بوزيان: مسار التحولات المأساوية في رواية " الورم " لإبراهيم الكوني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية ، إشراف د: محمد الأمين بحري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر ، 2014-2015م.

المجلات والدوريات :

1. أحمد البدري، خصوصية تشكيل المكان في آثار إبراهيم الكوني الروائية: الرباعية أنموذجا، مجلة قصص ، تونس ، ع31 ، مارس 2005م.
2. أمل رشيد ،قداسة التأموس وسلطته في أدب ابراهيم الكوني ، مقال في مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية ، العدد 11 سبتمبر 2015 م.
3. الباح دليلة ، المركز والهامش (مفهومه . أنواعه . جذوره) ، مجلة قراءات ، مخبر حدة التكوين ، البحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة.

4. جمال مجناح ، أدب الهامش ، نسق الهيمنة ، مركزية الخاصة وهامش العامة.
5. _____، جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة.
6. حسن البحراوي ، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية ، مجلات علامات مكناس ، المغرب ، ع18 ، 2002م.
7. خليل سليمة ومشقوق هنية ، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، مجلة مقاليد ، ع2، جامعة بسكرة، الجزائر ، ديسمبر 2011م
8. عبد الرحمان تبرماسين وصورية جيجخ ، إشكالية المركز والهامش في الأدب ، مجلة المخبر، جامعة بسكرة ، ع10 ، الجزائر ، 2014م.
9. علاء عبد الهادي ، شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل (الأنا بوصفها أنا أخرى) ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، عدد يوليو، سبتمبر 2007م.
10. فيصل أبو الطّفل ، رواية الورم لابراهيم الكوني ونبوءة البيع العربي ، بحث نشر في كتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية ومشكل القراءة في الوطن العربي.
11. مصطفى سليم ، ابراهيم الكوني ، وريث الصحراء يروي أساطير الأمازيغ باللغة العربية ولغات العالم ، مجلة الرصيف، العدد 22 ، ليبيا ، بتاريخ 26/12/2017م.

الله الحق

ملحق 1

ملخص رواية الورم:

تتكون الرواية من 17 فصلا وتقع في 184 صفحة من الحجم المتوسط، عناوين الفصول تجتذب القارئ وتحثه على متابعة أحداث الرواية واقتناص غاياتها والتلذذ بلغتها وبمضامينها: (الخلعة ، البشارة ، البلاغ ، القرينان ، الواحة ، الزعيم، الخطيئة ، الطريدة الجسد ، الصفقة ، المسائلة ، الضحية، الخلّ، الحجاب، الورم ، الحقيقة ، الناموس).

والفصل الأول فيها معنون ب: الخلعة ؛ وتمثل الموضوع الرئيسي في الرواية وكل شيء يدور حولها ، وترمز الخلعة للسلطة في تجلياتها.

"الورم" أيضا عنوان الفصل الخامس عشر من الرواية ويمثل عقدها التي تؤذن بتبدل الأحوال وسوء المآل.

ويرجع سرّ تسمية الكاتب روايته بـ"الورم" إلى المآل الذي يؤدي إليه الافتتان بالسلطة، أي إلى النهاية الحتمية لمريد الزعامة والتي عبّر عنها الكوني بـ"الخلعة" رمزا لامتلاك السلطة وفي الآن نفسه تمثل مصرعا من مصارع الاستبداد.

تدور الرواية في مجملها حول شخصية رئيسية مهووسة بالزعامة ، حيث يسعى الطاغية " آساناي" للاحتفاظ بالسلطة المتمثلة في الخلعة الميتافيزيقية التي تلقاها هدية من شخصية مجهولة الهوية هي الزعيم الذي لم يسبق لأحد أن رآه.

وتجري أحداث الرواية مكانيا في تلك الواحة القابعة في عمق الصحارى الجرداء ، حيث تتغير حياته من عبد تعيس ومهمش في قومه منبوذ وحقير لا يقدر على شيء إلى مريد السلطة مالك لها، إذ يأتيه الرسول ببشارة تجعل منه (صاحب الخلعة) ، بأمر من زعيم الصحراء ليكون بعدها سيد واحته وملكا وسلطانا على رقاب رعيته.

يرتدي "آساناي" الخلعة فيفسد في الأرض بغير الحق ، ويكتم أنفاس الرجال ويلهو مع الجوّاري من نساء الواحة، ويفرض المكوس ويقتل أهل المشورة من الكهنة والسحرة مريدي الحكمة، ويرتكب الجريمة تلو الأخرى بحجة أنه خليفة وأنه يملك السلطان.

يأتيه رسول الزعيم ليسترد منه الخلعة بسبب خيانتها للأمانة وتفريطه في حقّ الناموس ، وتهميشه لأهل الواحة ورعيته، فيصدر الحكم عليه بخلع الخلعة من على جسده الملتصق بها: لقد حكم عليه أن يسلم جلدته وهو حي ، فيموت نزفا أو حزنا كما أخبره بذلك رسول الزعيم، لكن

"آساناي" ينكر الحكم ويرفضه ويشق عصا الطاعة فيرتكب خطيئته بقتل الرسول وإنكار وجود الزعيم، ويتحول بعد ذلك إلى (مرید الاحتجاب) منعزلاً مريضاً شريداً منكفئاً على ذاته كارهاً للحياة والملذات ، وبعد أن يتماهى جلده بخلعته ، يتقشى الورم في هذا الجسد فيشرف الطاغية على لهلاك ، ويتردى إلى قعر الذل والهوان والتهميش.

هناك سلطة أعلى غيبية تفوض جزءاً من نوااميسها إلى سلطة أسفل: الأولى سلطة "الزّعيم" وهي هبة على سبيل الاسترداد ، والثانية سلطة "آساناي" التي صار وجوده متوقفاً على امتلاكها حتى امتزجت بجلده وصارت جزءاً لا يتجزأ منه.

وإذا كان ما يستعار حقاً لا بد من إرجاعه لأصحابه ، فإن طغيان "آساناي" وتجبره واعتداده بنفسه ومملكه ومركزه كسلطان على أهل الواحة ، زين له الخروج عن النوااميس وبسط اليد على ما كان تفويضاً من الزعيم له ، فكان أن جعل نفسه أحق بامتلاك السلطة من غيره فقتل الرسول وأنكر وجود الزعيم وهمّش رعيته ومارس ضدهم الاضطهاد والنبد والاقصاء ، ليكون في النهاية جزأه من جنس عمله ، سيعاقب جسده بالورم مثلما ستعاقب روحه بالانحطاط في دهاليز المذلة والإهانة.

وبهذا الفهم وضع الأسلاف عقوبة صارمة اتجاه من تُسوّل له نفسه اختراق وصايا الناموس ، إنه ليس الطرد من الفردوس فقط ، بل كذلك المعاقبة والقصاص.

إن رواية "الورم" رواية فلسفية تُعري أصحاب النفوذ والسلطة ومراكز الحكم ومن بيده مقاليد الحكم والملك، وتفضح شهوة الإنسان إلى الطغيان والاستعباد والتهميش والاستبداد ، فينسى أنه مجرد إنسان وليس إلهاً على الأرض ، وعبر هذه الرواية التي جعل الكاتب فكرتها تصل إلى احتمالات متعدّدة ، يدفعنا "الكوني" إلى التفكير العميق ، لا في فشل الإنسان في استعمال السلطة إذا امتلكها بين يديه ووقوعه بين مخالبيها ، بل إلى اقتناص فكرة أوسع وأشمل تتمثل في فشل الإنسان في خلافة الله على الأرض ، تلك التي كان أساسها احترام الناموس ، هذا الأخير الذي عاث فيه البشر خراباً وفساداً.

إنّ السلطة هي الخطيئة المطلقة التي لا يمكن امتلاكها إلا بارتكاب الآثام ولا يبرع في الاحتفاظ بها إلى الأراذل من الناس ، يقول "إبراهيم الكوني" : " إنّ السلطان كان يوماً قدر الأراذل لأنهم الأمة الوحيدة التي لا تتورع عن اقتتراف أعظم الآثام".

ملحق 2

ترجمة عن حياة ابراهيم الكوني:

كاتب ليبي طارقي يؤلف في الرواية والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية والتاريخ والسياسة ، اختارته مجلة (لير) الفرنسية أحد أبرز خمسين روائيا عالميا معاصرا، وأشادت به الأوساط الثقافية والنقدية والأكاديمية والـرّسمية في أوروبا وأمريكا واليابان ، ورشحته لجائزة نوبل مرارا ، ووضع السويسريون اسمه في كتاب يخلد أبرز الشخصيات التي تقيم على أراضيهم وهو الكاتب الوحيد من منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، بل الوحيد من العالم الثالث في هذا الكتاب ، واصطحبه رئيس سويسرا معه في واحد من أبرز المحطات الثقافية، حيث كان أول أجنبي اختير عضو شرف في وفد يرأسه الرئيس السويسري سنة 1998م ، عندما كانت سويسرا ضيف شرف في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في عيده الخمسين ، وقد أُلّف 81 كتابا ، وترجمت كتبه إلى لغات العالم الحية، وتدرّس في المناهج وفي جامعات عديدة مثل السوربون ، وجامعة طوكيو ، وتعتمد كمادة مرجعية للدراسات البحثية لنيل الدرجات العلمية.

سيرته:

ولد إبراهيم الكوني بغدامس بليبيا عام 1948م، وأنهى دراسته الإعدادية والثانوية في الجنوب الليبي، وبعد دراسة أدبية في بلاده قصد معهد عوركي للأداب بموسكو ، حيث حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبية والنقدية عام 1977م.

وظائف ومناصب تقلدها:

عمل إبراهيم الكوني في وظائف صحفية ودبلوماسية عديدة حيث كان مستشارا دبلوماسيا في السفارات الليبية في روسيا وبولندا وسويسرا ، وتولى رئاسة تحرير مجلة الصداقة الليبية في موسكو، ومنذوبا لجمعية الصداقة الليبية البولندية ، وتولّى منصبا في وزارة الشؤون الاجتماعية ثم وزارة الإعلام والثقافة.

مؤلفات إبراهيم الكوني:

- 1- الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص) ، 1974م.
- 2- جرعة من دم (قصص) 1983م
- 3- شجرة الرّسم (قصص) 1968م.
- 4- رباعية الخسوف 1989م.

- 5- البئر (رواية).
- 6- الواحة (رواية).
- 7- أخبار الطوفان (رواية)
- 8- التبر (رواية) 1990م.
- 9- نزييف الحجر (رواية) 1990.
- 10- القفص (قصص) 1990.
- 11- المجوس (رواية) الجزء الأول، 1990
- 12- المجوس (رواية) الجزء الثاني، 1991م
- 13- ديوان النثر البري (قصص) 1991.
- 14- وطن الرؤى السماوية (قصص) 1991.
- 15- الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص) 1992.
- 16- خريف درويش (رواية ، قصص ، أساطير) 1994.
- 17- واو الصغرى (رواية) 1997.
- 18- عشب الليل (رواية) 1997م.
- 19- صحرائي الكبرى (نصوص) 1998م
- 20- الدنيا أيام ثلاثة (رواية) 2000م

قالوا عنه:

المترجم الألماني "هارتموث فندريش" الذي درس اللغة العربية وتاريخ الثقافة الإسلامية: "أعتبر إبراهيم الكوني ظاهرة استثنائية في حقل الإبداع الأدبي العربي ، وحتى من الصحراء ، يكتب عن الصحراء كرمز للوجود الإنساني والعودة إلى كل كنز أسطوري لعالم حوض البحر المتوسط ، هذا الأمر فريد في الأدب العربي ، بالنسبة لي من الممكن أن يكون منافسا على جائزة نوبل للآداب".

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	فهرس الموضوعات
	إهداء
أ	مقدمة
01	تمهيد
الفصل الأول: المركز والهامش: جدل المفاهيم وتحديد طبيعة العلاقة.	
05	أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمركز:
05	1-1-المركز لغة:
06	1-2-المركز اصطلاحاً:
06	أ- المركز في الدراسات الاجتماعية.
07	ب- المركز في الدراسات الاقتصادية.
07	ج- المركز في الدراسات السياسية
08	د- المركز في الدراسات الأدبية.
09	ثانياً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للهامش:
09	1-2 الهامش لغة:
09	2-2 الهامش اصطلاحاً:
10	أ- الهامش في الدراسات الاجتماعية.
10	ب- الهامش في الدراسات السياسية
11	ج- الهامش في الدراسات الأدبية.
13	ثالثاً: طبيعة العلاقة بين المركز والهامش.
الفصل الثاني: موضوعة المركز والهامش في الرواية	
16	أولاً: الكاتب وما كتب : نظرة عن كتب.
17	ثانياً: عالم الصحراء المهمش والمغترب عن عالم الرواية المتمدن.
20	ثالثاً: مركزية الحاكم في السلطة: هامش الرعية والمحكومين.
22	رابعاً: صورة المرأة المهمشة في الرواية.

الفصل الثالث: جماليات المركز والهامش في الرواية.	
26	أولاً: رمزية العنوان ودلالته في الرواية
26	ثانياً: ما قبل النص: عتبات البداية.
27	ثالثاً: القيم والأنساق الرمزية في الرواية.
27	1- الصحراء.
29	أ- رمز للوجود الإنساني.
30	ب- رمز للرحلة القاسية نحو الموت.
32	ج- رمز للعزلة والاحتجاب.
33	د- رمز للتأمل والفلسفة والتصوّف.
35	2- الخُلة رمز لتملك السلطة والحكم.
36	3- رمزية الشخصيات في الرواية.
41	رابعاً: الحمولات والأنساق الثقافية في الرواية.
43	خاتمة.
47	قائمة المصادر والمراجع .
51	الملاحق.
56	فهرس الموضوعات.

* ملخص:

طرحت لنا رواية "الورم" لـ: "إبراهيم الكوني" جدلية المركز والهامش، هذه النائية الضدية التي تركز الأول وتهمل وتلغي الآخر، وذلك من خلال كشفه لمثالب السلطة والمتسلطين وما يحدثونه من شطط واستبدادٍ ضد من يحكمونهم، كما كشفت لنا طبائع النفس البشرية ممن أحبوا وعشقوا السلطة وذلك من خلال شخصية البطل المهووسة بالحكم والذي دفع الثمن غاليا فكانت نهايته تورم جسده بعدما تورمت روحه في الظلم والجبروت.

* الكلمات المفتاحية: المركز، الهامش، السلطة، الحاكم، الرعية، الورم.

*Résumé :

Le roman "Elwaram" de "Ibrahim Elkawni" nous a proposé la dialectique du statut et de l'écart, ce bilatéralisme contradictoire qui se concentre sur le premier et néglige et annule l'autre, c'est a travers la découverte des inconvénients du pouvoir et les autoritaires, et qu'est ce qu'ils font de la tyrannie et de la négligence contre ceux qui les gouvernent, ce roman nous a éclairci les comportements de la psyché humaine de ceux qui ont aimé et adoré le pouvoir et c'est a travers la personnalité du personnage principal obsédée de cela et il l'a payé très chère et sa fin était le gonflement de son corps après avoir gonflé son esprit dans l'injustice et l'omnipotence.

*Les mots clés: statut, l'écart, pouvoir, les autoritaires, gouverneur, les gonflement.

